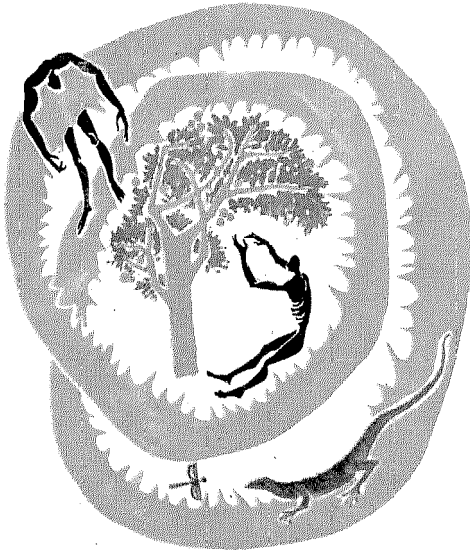


مصطفى محمود

حـوار
مع صديقي الملحد



حـ و ا ر مع صديقي الملحد

مصطفى محمود

الغلاف

للغلاف هيئة عنایت

الطبعة الاولى

اکتوبر ۱۹۷۴

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

● لم يلد ولم يولد

صديقي رجل يحب الجدل ويهوى الكلام وهو يعتقد أننا نحن المؤمنون السنذج نقتات بالاهام ونضحك على أنفسنا بالجنة والخور العين وتفوتنا لذات الدنيا ومفاتها ٠٠ وصديقي بهذه المناسبة تخرج من فرنسا وحصل على دكتوراه وعاش مع الهبييز وأصبح ينكر كل شيء .

قال لي ساخرا :

• - أنتم تقولون : ان الله موجود ، وعمدة براهينكم هو قانون « السببية » الذي ينص على أن لكل صنعة صانعا ولكل خلق خالقا ولكل وجود موجدا ٠٠ النسيج يدل على النساج والرسم على الرسام والنقش على النقاش والكون بهذا المنطق أبلغ دليل على الاله القدير الذي خلقه .

صدقنا وآمنا بهذا الخالق ٠٠ ألا يحق لنا بنفس المنطق أن نسأل ٠٠ ومن خلق الخالق ٠٠ من خلق الله الذي تحدثونا عنه ٠٠ ألا تقودنا نفس استدلالكم الى هذا ٠٠ وتبعا لنفس قانون السببية ٠٠ ما رأيكم في هذا المطب دام فضلكم ؟
ونحن نقول له : سؤالك فاسد ٠٠ ولا مطب ولا حاجة فانت تسلم بأن الله خالق ثم تقول من خلقه ؟! فتجعل منه

خالفا ومخلوقا في نفس الجملة وهذا تناقض
والوجه الآخر لفساد السؤال أنك تتصور خضوع الخالق
لقوانين مخلوقاته .. فالسببية قانوننا نحن أبناء الزمان
والمكان .

والله الذي خلق الزمان والمكان هو بالضرورة فوق الزمان
والمكان ولا يصح لنا أن نتصوره مقيدا بالزمان والمكان
ولا بقوانين الزمان والمكان .
والله هو الذي خلق قانون السببية فلا يجوز أن نتصوره
خاضعا لقانون السببية الذي خلقه .

وأنت بهذه السفسطة أشبه بالعرائس التي تتحرك بزمالك
وتتصور أن الانسان الذي صنعها لا يد هو الآخر يتحرك
بزمالك .. فإذا قلنا لها بل هو يتحرك من تلقاء نفسه ..
فالت : مستحيل أن يتحرك شيء من تلقاء نفسه .. انى أرى
فى عالمى كل شيء يتحرك بزمالك .

وأنت بالمثل لا تتصور أن الله موجود بذاته بدون موجود ..
لمجرد أنك ترى كل شيء حولك فى حاجة الى موجود .
وأنت كمن يظن أن الله محتاج الى براشوت لينزل على
البسر والى أتوبيس سريع لبصل الى أنبيائه . سبحانه وتعالى
عن هذه الاوصاف علوا كبيرا .

« وعمانويل كانت » الفيلسوف الالماني فى كتابه
« نقد العقل الخالص » أدرك أن العقل لا يستطيع أن يحيط
بالخاتق اللامحدودة وانه مهيا بطبيعته لادراك الجزئيات فقط
بيما هو قاصر عن ادراك الوجود الكلى مثل الوجود الإلهى ..
وانما عرفنا الله بالضمير وليس بالعقل .. شوقنا الى العدل
كان دليلنا على وجود العادل .. كما أن ظمأنا الى الماء هو
دليلنا على وجود الماء .

أما أرسطو فقد استطرذ فى تسلسل الاسباب قائلا :
إن الكرسي من الخشب والحشب من الشجرة والشجرة من
البذرة والبذرة من الاربع .. واضطر الى القول بأن هذا

الاستطراد المتسلسل في الزمن اللانهائي لا بد وأن ينتهي بنا في البدء الأول الى سبب في غير حاجة الى سبب .. سبب أول أو محرك أول في غير حاجة الى من يحركه .. خالق في غير حاجة الى خالق .. وهو نفس ما نقوله عن الله .

أما ابن عربي فكان رده على هذا السؤال (سؤال من خلق الخالق) .. بأنه سؤال لا يرد الا على عقل فاسد ..

فإنه هو الذي يبرهن على الوجود ولا يصح أن نتخذ من الوجود برهاناً على الله .. تماماً كما نقول أن النور يبرهن على النهار .. ونعكس الآية لو قلنا ان النهار يبرهن على النور .

يقول الله في حديث قدسي :

(انا يستدل بي .. انا لا يستدل علي) .

فإنه هو الدليل الذي لا يحتاج الى دليل لأن الله هو الحق الواضح بذاته .. وهو الحجة على كل شيء .. الله ظاهر في النظام والدقة والجمال والاحكام .. في ورقة الشجر .. في ريشة الطاووس في جناح الفراش .. في عطر الورد .. في صدح البلب .. في ترابط النجوم والكواكب في هذا القصيد السيفوني الذي اسمه الكون .. لو قلنا ان كل هذا جاء صدفة .. لكننا كمن يتصور أن القاء حروف مطبوعة في الهواء يمكن أن يؤدي الى تجمعها تلقائياً على شكل قصيدة شعر لشكسبير بدون شاعر وبدون مؤلف ..

والقرآن يغنينا عن هذه الجدالات بكلمات قليلة وبليغة فيقول بوضوح قاطع ودون تفلسف :

« قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

ويسألنا صاحبنا ساخراً .. ولماذا نقولون أن الله واحد .. لماذا لا يكون الالهة متعددين .. يتوزعون بينهم الاختصاصات .

وسوف نرد عليه بالمنطق الذي يعترف به . . . بالعلم
وليس بالقرآن .

سوف نقول له ان الخالق واحد لان الكون كله مبنى من
خامة واحدة وبخطة واحدة . . . فمن الايدروجين تألفت العناصر
الاثنان والتسعون التي في جدول مندليف بنفس الطريقة
« بالإدماج » وبإطلاق الطاقة الذرية التي تتأجج بها النجوم
وتشتعل الشمس في فضاء الكون .

كما أن الحياة كلها بنيت من مركبات الكربون (جميع
صنوف الحياة تنفج بالاحتراق) على مقتضى خطة تشريحية
واحدة . تشريح الضفدعة والارنب والحمامة والتمساح
والزرافة والحوت يكشف عن خطة تشريحية واحدة نفس
الشرابين والاوردة وغرفات القلب . . . ونفس العظام كل عظمة
لها نظيرتها . . . الجناح في الحمامة هو الذراع في الضفدعة . . .
نفس العظام مع محور طفيف . . . والعنق في الزرافة على طوله
نجد فيه نفس الفقرات السبع التي نجدها في عنق القنفذ . . .
والجهاز العصبي هو هو في الجميع يتألف من مخ وحبل شوكي
وأعصاب حس وأعصاب حركة . . . والجهاز الهضمي من معدة
« اثنا عشر » وأمعاء دقيقة وأمعاء غليظة . . . والجهاز التناسلي
نفس البيض والرحم والخصية وقنواتها . . . والجهاز البولي ،
الكلى والحالب ، وحويلة البول . . . ثم الوحدة التشريحية في
الجميع هي الخلية . . . وهي في النبات كما في الحيوان كما في
الانسان نفس المواصفات . . . تتنفس وتتكاثر وتموت وتولد
بنفس الطريقة .

فأية غرابة بعد هذا أن نقول أن الخالق واحد .
ولماذا يتعدد الكامل . . . وهل به نقص ليحتاج الى من يكمله .
انما يتعدد الناقصون .
ولو تعدد الالهة لاختلّفوا ولذهب كل اله بما خلق
وأفسدت الارض .
والله له الكبرياء والجبروت وهذه صفات لا تحتل الشركة .

ويسخر صاحبنا من معنى الربوبية كما نفهمه . . ويقول
اليس عجيبا ذلك الرب الذى يتدخل فى كل صغيرة وكبيرة
فياخذ بناصية الدابة ويوحى الى النحل أن تتخذ من الجبال
بيوتا . . وما تسقط من ورقة الا يعلمها . . وما تخرج من
ثمرات من أكمامها الا احصاها عددا . . وما تحمل من أنثى
ولا تضع الا بعلمه . . اذا عثرت قدم فى حفرة فهو الذى
أعثرها . . واذا سقطت ذبابة فى طعام فهو الذى أسقطها . .
واذا تعطلت الحرارة فى تليفون فهو الذى عطلها . . واذا امتنع
المطر فهو الذى منعه واذا هطل فهو الذى أهطله . . الا تشغلون
الحكم بالكثير التافه من الامور بهذا الفهم .
ولا أفهم اىكون الرب فى نظر السائل أجدر بالربوبية لو
أنه أففى نفسه من هذه المسئوليات وأخذ أجازة وأدار ظهره
للكون الذى خلقه وتركه يأكل بعضه بعضا .
هل الرب الجدير فى نظره هو رب عاقل مغمى عليه
لا يسمع ولا يرى ولا يستجيب ولا يعنى بمخلوقاته . ثم من
اين للسائل بالعلم بأن موضوعا ما تافه لا يستحق ندخل الاله
وموضوعا آخر مهم وخطير الشأن .
ان الذبابة التى تبدو تافهة فى نظر السائل فلا بهم فى
نظره أن تسقط فى الطعام أو لا تسقط هذه الذبابة يمكن أن
تغير التاريخ بسقوطها التافه ذلك . . فانها يمكن أن تنقذ
الكوليرا الى جيش وتكسب معركة لطرف آخر تنفخ بعدها
موازين التاريخ كله .
ألم تقتل الاسكندر الاكبر بموضة .
ان أتفه المقدمات يمكن أن تؤدي الى اخطر النتائج . .
وأخطر المقدمات يمكن أن تنتهى الى لا شىء . . وعالم الغيب
وحده هو الذى يعلم قيمة كل شىء .
وهل تصور السائل نفسه وصيا على الله يحدد له
اختصاصاته . . تقدس وتنزه وربنا عن هذا النصور الساذج .
انما الاله الجدير بالالوهية هنا هو الاله الذى احاط بكل
شء علما . . لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء .
الاله السميع المجيب المعتنى بمخلوقاته .

● إذا كان الله قدّر على

أفعالي فلماذا يحاسبني؟

قال صديقي في شماتة وقد تصور أنه أمسكني من عنقي
وأنه لا مهرب لي هذه المرة .
- انتم تقولون ان الله يجري كل شيء في مملكته بقضاء
وقدر وان الله قدر علينا أفعالنا ، فإذا كان هذا هو حالى . .
وان افعالى كلها مقدرة عنده فلماذا يحاسبني عليها .
لا تقل لي كمادتك . . أنا مخير . . فليس هناك فرية أكبر
من هذه الفرية .
ودعني أسألك .
هل خيرت في ميلادى وجنسى وطولى وعرضى ولونى
ووطنى ؟؟

هل باختيارى تشرق الشمس ويقرب القمر ؟؟
هل باختيارى ينزل على الغضاء ويفاجئنى الموت وأقع فى
المأساة فلا أجد مخرجاً الا الجريمة . . لماذا يكرهنى الله على
فعل ثم يؤاخذنى عليه ؟

وإذا قلت انك حر وان لك مشيئة الى جوار مشيئة الله
ألا تشرك بهذا الكلام وتقع فى تعدد المشيئات .

ثم ما قولك في حكم البيئة والظروف وفي الحتميات التي
يقول بها الماديون التاريخيون .
أطلق صاحبي هذه الرصاصات ثم راح يتنفس الصعداء في
راحة وقد تصور انى توفيت وانتهيت ولم يبق أمامه
الا استحضار الكفن .
قلت له في هدوء :

— أنت واقع في عدة مغالطات . . فافعالك معلومة عند الله
في كتابه ، ولكنها ليست مقدورة عليك بالأكراه . . انها مقدرة
في علمه فقط . . كما تفدر أنت بعلمك ان ابنك سرب
يزنى . . ثم يحدث ان يزنى بالفعل . . فهل اكرهته . . ثم
كان هذا تقديرا في العلم وقد أصاب علك .
أما كلامك عن الحرية بأنها فرية وتديلك على ذلك بانك لم
تخير في ميلادك ولا في جنسك ولا في طولك ولا في لونك ولا
في موطنك . . وانك لا تملك نقل الشمس من مكانها . . فهو
تخليط آخر .

وسبب التخليط هذه المرة أنك تتصور الحرية بطريقة غير
تلك التي تتصورها نحن المؤمنون .
أنت تتكلم عن حرية مطلقة . . فتقول . . أكنب أستطع ان
اخلق نفسى أبيض أو أسود أو طويلا أو قصيرا . . هل
بإمكانى أن أنقل الشمس من مكانها أو أوقفها في مدارها . .
أين حريتى .

ونحن نقول له . . أنت تسأل عن حرية مطلقة . . ثم
التصرف في الكون وهذه ملك لله وحده . . نحن أيضا لا
بهذه الحرية :
(وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة)
٦٨ - الخسيس

ليس لأحد الخيرة في مسألة الخلق لان الله هو الذى يخلق
ما يشاء ويختار .

ولن يحاسبك الله على قصرك ولن يعاتبك على طولك ولن يعاقبك لانك لم توقف الشمس في مدارها .
ولكن مجال المساءلة هو مجال التكليف . . . وانت في هذا المجال حر . . . وهذه هي الحدود التي نتكلم فيها .
انت حر في ان تسمع شهوتك وتلجم غضبك وتقاوم نفسك وتزجر نياتك الشريرة وتشجع ميولك الحيرة .

انت تستطيع ان تجود بمالك ونفسك .
انت تستطيع ان تصدق وان تكذب .
وتستطيع ان تكف يدك عن المال الحرام .
وتستطيع ان تكف بصرك عن عورات الآخرين .
وتستطيع ان تمسك لسانك عن السباب والغيبة والنميمة .
في هذا المجال نحن احرار .
وفي هذا المجال نحاسب ونسأل .

الحرية التي يدور حولها البحث هي الحرية النسبية وليست الحرية المطلقة . حرية الانسان في مجال التكليف .
وهذه الحرية حقيقية ودليلنا عليها هو شعورنا الفطري بها في داخلنا . . . فنحن نشعر بالمسئولية وبالندم على الخطأ وبالراحة للعمل الطيب . . . ونحن نشعر في كل لحظة أننا نختار ونوارن بين احتمالات متعددة . بل ان وظيفة عقلمنا الاولى هي الترجيح والاختيار بين البديلات .
ونحن نفرق بشكل واضح وحاسم بين يدنا ترتعش بالحمي ويدنا وهي تكتب خطابا . . . فنقول ان الحركة الاولى جبرية قهرية والحركة الثانية حرة اختيارية . . . ولو كنا مسيرين في الحالتين لما استطعنا التفرقة .

ويؤكد هذه الحرية ما نشعر به من استحالة اكراد القلب على شيء لا يرضاه تحت أي ضغط ، فيمكنك ان تكره امرأة بالتهديد والضرب على ان تخلع ثيابها . . . ولكنك لا تستطيع بأي ضغط او تهديد ان تجعلها تحبك من قنيتها . . . ومعنى هذا ان الله

أعنتق قلوبنا من كل صنوف الاكراه والاجبار وانه فطرهما
حررة .

ولهذا جعل الله القلب والنية عمدة الاحكام ، فالؤمن الذي
ينطق بعبارة الشرك والكفر تحت التهديد والتعذيب لا يحاسب
على ذلك طالما ان قلبه من الداخل مطمئن بالايمان وقد استثناه
الله من المزاخذة فى قوله :

(**الامن اكره وقلبه مطمئن بالايمان**) ١٠٦ - النحل

والوجه الآخر من الخلط فى هذه المسئلة ان بعض الناس
يفهم حرية الانسان بانها علو على المشيئة وانفراد بالامر فينهم
القائلين بالحرية بانهم اشركوا بالله وجعلوا له اندادا يأمرون
كأمره ويحكمون كحكمه وهذا ما فهمه أنت أيضا . . فقلت
بتعدد المشيئات . . وهو فهم خاطئ . . فالحرية الانسانية
لا تعلق على المشيئة الالهية . .

ان الانسان قد يفعل بحريته ما يتنافى الرضا الالهى ولكنه
لا يستطيع ان يفعل ما يتنافى المشيئة .

الله اعطانا الحرية ان نعملو على رضاه (فنعصيه) . ولكن
لم يعط احدنا الحرية فى ان يعلو على مشيئته . . وهنا وجه
آخر من وجوه نسبية الحرية الانسانية .

وكل ما يحدث منا داخل فى المشيئة الالهية وضمنها وان
خالف الرضا الالهى وجانب الشريعة .

وحريتنا ذاتها كانت منحة الهية وهبة منحها لنا الخالق
باختياره . . ولم نأخذها منه كرها ولا غصبا .

ان حريتنا كانت عين مشيئته .

ومن هنا معنى الآية :

(**وما تشاؤون الا ان يشاء الله**) ٣٠ - الانسان

لان مشيئتنا ضمن مشيئته . . ومنحة منه . . وهبة من
كرمه وفضله . . فهي ضمن ارادته ، لانهائية ولا تناقض . .
ولامنافسة منا لامر الله وحكمه .

والقول بالحرية بهذا المعنى لا يتنافى التوحيد . ولا يجعل له

اندادا يحكمون كحكمه ويأمرون كأمره . . فان حرياتنا كانت
عين أمره ومشيبته وحكمه .

والوجه الثالث للخلط أن بعض من تناولوا مسألة القضاء
والقدر والتسيير والتخيير . . فهموا القضاء والقدر بأنه اكراه
للانسان على غير طبعه وطبيعته وهذا خطأ وقعت فيه أنت
أيضا . . وقد نفى الله عن نفسه الاكراه بآيات صريحة :

(ان نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم
لها خاضعين) ٤ - الشعراء .

والمعنى واضح . . انه كان من الممكن أن نكره الناس على
الامعان بالآيات الملزمة ولكننا لم نفعل . . لانه ليس في سنننا
الاكراه .

(لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) ٢٥٦ - البقرة
(ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت
تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين) ٩٩ - يونس
ليس في سنة الله الاكراه .

والقضاء والقدر لا يصح ان يفهم انه اكراه للناس على غير
طبعائهم . . وانما على العكس ، الله يقضى على كل انسان من
جنس نيته وينشاء له من جنس مشيبته ويريد له من جنس
ارادته ، لاثنائية . . تسيير الله هو عين تخيير العبد لان الله
يسر كل امرئ على هوى قلبه وعلى مقتضى نيته .

(من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان
يريد حرث الدنيا نؤته منها) ٢٠ - الشورى

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا) ١٠ - البقرة

(والذين اهتدوا زادهم هدى) ١٧ - محمد

وعو يخاطب الاسرى في القرآن .

(ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم)
٧٠ - الانفال

الله بغضى ويقدر ويجرى قضاءه وقدره على مقتضى النية
والعبد . . ان شرا بشر وان خيرا بخير .

ومعنى هذا انه لاثنائية .. التسيير هو عين التخيير
ولا ثنائية ولا تناقض .
الله يسيرنا الى ما اخترناه بقلوبنا ونياتنا فلا ظلم ولا اكرام
ولا جبر .. ولا قهر لنا على غير طبايعنا .
(فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى
واما من بغل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)
٥ - ١٠ - الليل

(وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ١٧ - الانفال
هنا تلتقى رمية العبد والرمية المقدرة من الرب فتكون رمية
واحدة .. وهذا مفتاح لغز القضاء والقدر .. على العبد النية
وعلى الله التمكين ان خيرا يخير وان شرا يشر .
والحرية الانسانية ليست مقدارا ثابتا ولكنها قدرة نسبية
قابلة للزيادة .

الانسان يستطيع ان يزيد من حريته بالعلم .. باختراع
الوسائل والادوات والمواصلات استطاع الانسان ان يطوى
الارض ويهزم المسافات ويخترق قيود الزمان والمكان ..
وبدراسة قوانين البيئة استطاع ان يتحكم فيها ويسخرها
لخدمته وعرف كيف يهزم الحر والبرد والظلام وبذلك
يضاعف من حرياته في مجال الفعل .
العلم كان وسيلة الى كسر القيود والاعلال واطلاق الحرية .
اما الوسيلة الثانية فكانت الدين .. الاستعداد من الله
بالتقرب منه .. والاخذ عنه بالوحي والتلقى والتأييد .. وهذه
وسيلة الانبياء ومن في دربهم .

سخر سليمان الجن وركب الريح وكلم الطير بمعونة الله
ومدده .. وشق موسى البحر .. واحيا المسيح الموتى وعشى
على الماء وابرا الاكمة والابرص والاعمى .
ونقرأ عن الاولياء اصحاب الكرامات الذين تطوى لهم الارض
وتكشف لهم المغيبات .
وهي درجات من الحرية اكتسبوها بالاجهاد في العبادة

والتقرب الى الله والتحبب اليه . . فأفاض عليهم من علمه
المكتون .

انه العلم مرة أخرى .

ولكنه هذه المرة العلم « اللدني » .

ولهذا يلخص أبو حامد الغزالي مشكلة المخير والمسير قائلا في
كلمتين :

الانسان مخير فيما يعلم . .

مسير فيما لا يعلم . .

وهو يعنى بهذا انه كلما اتسع علمه كلما اتسع مجال
حريته . . سواء كان العلم المقصود هو العلم الموضوعى أو
العلم اللدني .

ويحطى المكرون الماديون أشد الخطأ حينما يتصورون
الانسان أسير الحتميات التاريخية والطبقية ويجعلون منه
حلفة فى سلسلة من الحلقات لا فكاك له ولا مهرب من
خضوع لقوانين الاقتصاد وحركة المجتمع وكأنما هو قشنة
فى تيار بلا ذراعين وبلا ارادة . .

والكلمة التى يرددونها ولا يتعبون من ترديدها وكأنها
فانون . . حتمية الصراع الطبقي . . هى كلمة خاطئة فى
التحليل العلمى . . لانه لا حتميات فى المجال الانسانى . .
واما على الاكثر ترجيحات واحتمالات . . وهذا هو الفرق بين
الانسان . . وبين التروس والآلات والاجسام المادية . . فيمكن
المسبو بحسوف الشمس بالدقيقة والثانية ويمكن التنبؤ
بحركاتها المستعملة على مدى أيام وسنين . . اما الانسان
فلا يمكن ان يعلم احد ماذا يضمر وماذا يخبى فى نيته وماذا
يفعل غدا أو بعد غد . . ولا يمكن معرفة هذا الا على سبيل
الاحتمال والترجيح والتخمين وذلك على فرض توفر المعلومات
الكافية للحكم .

وفد أخطأت جميع تنبؤات كارل ماركس فلم تبدأ الشيوعية

في بلد متقدم كما تنبأ بل في بلد متخلف . ولم يتفاهم الصراع بين الرأسمالية والشيوعية بل تقارب الاثنان الى محالة من التعايش السلمى واكثر من هذا فتحت البلاد الشيوعية ابوابها لرأس المال الامريكى . . . ولم تتصاعد التناقضات فى المجتمع الرأسمالى الى الافلاس الذى توقعه كارل ماركس بل على العكس ازدهر الاقتصاد الرأسمالى ووقع الشقاق والحلاف بين أطراف الممسكر الاشتراكى ذاته .

أخطأت حسابات ماركس جميعها دالة بذلك على خطأ منهجه الحتمى . . . ورأينا صراع العصر الذى يحرك التاريخ عسر الصراع اللاطبقى بين الصين وروسيا وليس الصراع الطبقي الذى جعله ماركس عنوان منهجه . . . وكلها شواهد على فشل الفكر المادى فى فهم الانسان والتاريخ وتخبطه فى حساب المستقبل . . . وجاء كل ذلك نتيجة خطأ جوهرى . . . ان العكر المادى تصور ان الانسان ذبابة فى شبكة من الحتميات . . . ونسى تماما ان الانسان حر . . . وان حريته حقيقة .

اما كلام الماديين عن حكم البيئة والمجتمع والظروف وان الانسان لا يعيىض وعده ولا تتحرك حريته فى فراغ . . . نقول ردا على هذا الكلام ان حكم البيئة والمجتمع والظروف كسقاومات المحرية الفردية يؤكد المعنى الجدلى لهذه الحرية ولا ينفيه . . . فالمحرية الفردية لا تؤكد ذاتها الا فى وجه مقاومة تحررحها . . . أما اذا كان الانسان يتحرك فى فراغ بلا مقاومة من أى نوع فانه لا يكون حرا بالمعنى المفهوم للمحرية لانه لن تكون هناك عمبة يتغلب عليها ويؤكد حريته من خلالها .



● لماذا خلق الله الشر؟

١

قال صاحبى ساخرًا :
كيف تزعمون أن الهكم كامل ورحمن ورحيم وكريم وءوف
وهو قد خلق كل هذه الشرور فى العالم . . المرض والشيخوخة
والموت والربو والبركان والميكروب والسسم والحرق والزهمير
والأم السرطان التى لا تعنى الطفل الوليد ولا الشيخ الطاعن .
إذا كان الله محبة وحملا وخيرا فكيف يخلق الكراهية
والقبح والشر .

والمشكلة التى أثارها صاحبى من المشاكل الأساسية فى
الفلسفة وقد انقسمت حولها مدارس الفكر واختلفت حولها
الآراء .

ونحن نقول . ان الله كله رحمة وكله خير وانه لم يامر
بالشر ولكنه سمح به حكمة .

(ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله مالا تعلمون .
فل امر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد)
٢٨ - الاعراف

الله لا يامر الا بالعدل والمحبة والاحسان والعفو والخير وهو
لا يرضى الا بالطيب .

فلماذا ترك الظالم يظلم والقاتل يقتل والسارق يسرق .
لان الله أرادنا أحرارا . . والحرية اقتضت الخطأ ولا معنى
للحرية دون أن يكون لنا حق التجربة والخطأ والصواب . .
والاختيار الحر بين المعصية والطاعة .
وكان في قدرة الله أن يجعلنا جميعا أخيارا وذلك بأن
يقهرنا على الطاعة قهرا وكان ذلك يقتضى أن يسلبنا حرية
الاختيار .

وفي دستور الله وسنته أن الحرية مع الألم أكرم للإنسان
من العبودية مع السعادة . . ولهذا تركنا نخطئ ونتعلم
وهذه هي الحكمة في سماحه بالشر .
ومع ذلك فإن النظر المنصف المحايد سوف يكشف لنا أن
الحرب في الوجود هو القاعدة وأن الشر هو الاستثناء . .
فالصحة هي القاعدة والمرض استثناء ونحن نقضى معظم سنوات
عمرنا في صحة ولا يزورنا المرض الا أياما قليلة . . وبالتن
الزلازل هي في مجملها بضع دقائق في عمر الكرة الارضية
الذي يحصى بملايين السنين وكذلك البراكين وكذلك الحروب
هي تشنجات قصيرة في حياة الامم بين فترات سلام
طويلة ممتدة .

ثم اننا نرى لكل شى وجه خير فالمرض يخلف وقاية والام
يربى الصلابة والجلد والتحمل والزلازل تنفس عن الضغط
المتكبر في داخل الكرة الارضية وتحسى القشرة الارضية من
الانفجار وتعيد الجبال الى أماكنها كأحزمة وثقالات تثبت
القشرة الارضية في مكانها . والبراكين تنفث المعادن والثروات
الحبيبية الباطنة وتكسو الارض بتربة بركانية خصبة . .
والحروب تدمج الامم وتلمح بينها وتجمعها في كتل وأحلاف
ثم هي عصبة أمم ثم في مجلس أمر هو بمثابة محكمة عاجبة
لمنتسلكي والتصالح . . وأعظم الاخراعات خرجت أنسا
الحروب . . المنتسبين المذرة الصواريخ الطائرات لتفانها كلها
خرجت من آتون الحروب .
ومن سم الثعبان يخرج الترياق .

ومن الميكروب نصنع اللقاح .
ولولا أن أجدادنا ماتوا لما كنا الآن في مناصبنا . والشكر
في الكون كالظل في الصورة إذا اقتربت منه خيل اليك أنه
غيب ونقص في الصورة . . ولكن إذا ابتعدت ونظرت الى
الصورة ككل نظرة شاملة اكتشفت أنه ضرورى ولا غنى عنه
وانه يودى وظيفة جمالية في البناء العام للصورة .
وهل كان يمكننا أن نعرف الصحة لولا المرض . . ان الصحة
نظل تاجا على رؤوسنا لا نراه ولا نعرفه الا حينما نمرض .
وبالمثل ما كان ممكنا أن نعرف الجمال لولا القبح ولا الوضع
الطبيعى لولا الوضع الشاذ .
ولهذا يقول الفيلسوف أبو حامد الغزالي : ان نقص الكون
هو عين كماله مثل اعوجاج القوس هو عين صلاحيته ولو انه
استقام لما رمى .
وظيفة أخرى للمشكلات والآلام . . انها هي التي تفرز
الناس وتكشف معادتهم .

لولا المشقة ساد الناس كلهم

الجود يفقر والاقدام قتال

انها الامتحان الذى نعرف به أنفسنا . . . والابتلاء الذى
تتحدد به مراتبنا عند الله .
ثم ان الدنيا كلها ليست سوى فصل واحد من رواية
سوف تتعدد فصولها فالموت ليس نهاية القصة ولكن بدايتها .
ولا يجوز أن نحكم على مسرحية من فصل واحد ولا أن
نرفض كتابا لان الصفحة الاولى لم تعجبنا .
الحكم هنا ناقص .

ولا يمكن استطلاع الحكمة كلها الا فى آخر المطاف . . ثم
ما هو البديل الذى يتصوره السائل الذى يسخر منا .
هل يريد أن يعيش حياة بلا موت بلا مرض بلا شيخوخة
بلا نقص بلا عجز بلا قيود بلا أحزان بلا آلام . . .
هل يطلب كمالا مطلقا .
ولكن الكمال المطلق لله .

والكامل واحد لا يتعدد . . ولماذا يتعدد . . وماذا ينقصه
ليجده في واحد آخر غيره .
معنى هذا أن صباحينا لن يرضيه إلا أن يكون هو الله ذاته
وهو التطاول بعينه .

ودعونا نسخر منه بدورنا . . هو وأمثاله ممن لا يعجبهم
شيء .

هؤلاء الذين يريدونها جنة .
ماذا فعلوا ليستحقونها جنة .
وماذا قدم صباحينا للإنسانية ليحصل من نفسه الله الواحد
القهار الذي يقول للمشيء كن فيكون .
إن جدتي أكثر ذكاء من الأستاذ الدكتور المتخرج من فرنسا
حينما تقول في بساطة :

« خير من الله شر من نفوسنا » .

إنها كلمات قليلة ولكنها تلخيص أمين للمشكلة كلها . .
فالله أرسل الرياح وأجرى النهر ولكن ربان السفينة الجشع
ملا سفينته بالناس والبضائع بأكثر مما تحتمل ففرقت فمضى
يسب الله والقدر . . وما ذنب الله . . الله أرسل الرياح رخاء
وأجرى النهر خيرا . . ولكن جشع النفوس وطمعها هو الذي
قلب هذا الخير شرا .

ما أصدقها من كلمات جميلة طيبة .

« خير من الله شر من نفوسنا » .



● وما ذنب الذئب

لم يصله قرآن؟

هرش صاحبنا الدكتور رأسه .
كان من الواضح أنه يبحث لي في الدكتوراه عن حفرة
أو مطب يدق عنقي فيه . ثم قال في هدوء وهو يرتب كلماته:
- حسنا . . وما رايك في هذا الانسان الذي لم يصله
قرآن ولم ينزل عليه كتاب . . ولم يات به نبي . . ما ذنبه . .
وما مصيره عندكم يوم الحساب . . مثل اسكيمو في اقاصي
القطبين . . أو زنجي في الغابات . . ماذا يكون حظه بين يدي
الهكم يوم القيامة .
قلت له :

- دعنى أصحح معلوماتك أولا . . فقد بنيت أسئلتك على
مقدمة خاطئة . . فإله أخبرنا بأنه لم يحرم أحدا من رحمته
ووجيه وكلماته وآياته .

(وان من أمة إلا خلا فيها نذير) ٢٤ - فاطر
(ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) ٣٦ - النحل
والرسل الذين جاء ذكرهم في القرآن ليسوا كل الرسل . .
وانما هناك آلاف غيرهم لا نعلم عنهم شيئا . . والله يقول
لنبيه عن الرسل :

(منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)
٧٨ - غافر

والله يوحى الى كل شيء حتى النحل .
(وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن

الشجر وما يعرشون (٦٨ - النحل

وقد يكون الوحي كتاباً يلقيه جبريل . . وقد يكون نوراً
يلقيه الله في قلب العبد . . وقد يكون انشراحاً في الصدر . .
وقد يكون حكمة وقد يكون حقيقة وقد يكون فهماً وقد يكون
خشوعاً ورهبة وتقوى .
وما من أحد يرهف قلبه ويرهف سمعه الا ويتلقى من الله
فضلاً .

أما الذين يصمون آذانهم وقلوبهم فلا تنفعهم كتب ولا رسل
ولا معجزات ولو كثرت .
والله قال انه يختص برحمته من يشاء . . وانه لا يسأل
عما يفعل .

وقد يريد الله لحكمة يعلمها أن ينذر أحداً وأن يعذر آخر
فيقبل منه أهون الايمان .
ومن يدرينا . . ربما كانت مجرد لفتة من ذلك الزنجي
انبدأني الى السماء في رهبة هي عند الله منجية ومقبولة أكثر
من صلاتنا .

على أن القراءة المتأملة لأديان هؤلاء، الزوج البدائين تدل
على أنه كان لهم رسل ورسالات سماوية مثل رسالاتنا .
في قبيلة الماوماو مثلاً نقرأ أنهم يؤمنون بالله يسمونه
« موحايي » ويصفونه بأنه واحد أحد لم يلد ولم يولد وليس
له كفؤ ولا شبيهه . . وانه لا يرى ولا يعرف الا من آثاره
وأفعاله . . وانه خالق رازق وهاب رحيم يشفي المريض
وينجد المأزوم وينزل المطر ويسمع الدعاء ويصفونه بأن البرق
خنجره والرعد وقع حطاه .

أليس هذا ال « موحايي » هو الهنا بعينه . . ومن أين جاءهم
هذا العلم الا أن يكون في تاريخهم رسول ومبلغ جاء به . .
ثم نقادم عليه العهد كالمعتاد فدخلت الخرافات والشعوذات
وسوحت هذا النقاء الديني .
وفي قبيلة نيام نيام نقرأ أنهم يؤمنون بالله واحد يسمونه

« مبولى » ويقولون ان كل شىء فى الغابة يتحرك بارادة «مبولى»
وانه يسلط الصبوعاق على الاشرار من البشر .. ويكافىء
الاخييار بالرزق والبركة والامان .
وفى قبيلة الشيلوك يؤمنون باله واحد يسمونه « جوك »
ويصفونه بأنه خفى وظاهر .. وانه فى السماء وفى كل مكان
وانه خالق كل شىء .
وفى قبيلة الدنكا يؤمنون باله واحد يسمونه « نيلاك »
وهى كلمة ترجمتها الحرفية .. الذى فى السماء .. أو الاعلى .
ماذا نسمى هذه العقائد الا انها اسلام .
وماذا تكون الا رسالات كان لها فى تاريخ هؤلاء الافوام
رسل .

ان الدين لواحد .
(ان الدين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من
آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٦٢ - البقرة
حتى الصابئين الذين عبدوا الشمس على أنها آية من آيات الله
وآمنوا بالله الواحد وبالأخرة والبعث والحساب وعملوا
الصالحات فلهم اجرهم عند ربهم .
ومعلوم أن رحمة الله تتفاوت .
وهناك من يواد أعمى وهناك من يولد مبصرا وهناك من
عاش أيام موسى ورآه رأى العين وهو يشق البحر بعصاه ..
وهناك من عاش أيام المسيح ورآه يحيى الموتى .. أما نحن
فلا نعلم عن هذه الآيات الا سمعا .. وليس الخبر كالميان ..
وليس من رأى كمن سمع .

ومع ذلك فالإيمان وعدمه ليس رهنا بالمعجزات .
والمكابدون المماندون يرون العجب من أنبيائهم فلا يزيد
قولهم على أن هذا « سحر مفترى » .
ولا شك أن صاحبنا الدكتور القادم من فرنسا قد بلغه من
الكتب ثلاثة .. نوراة وانجيل وقرآن وبلغته .. فلم تزده هذه
الكتب الا اغراقا فى الجدل .. وحتى يهرب من الموقف كله

أحاله على شخص مجهول في الغابات لم ينزل عليه كتاب . .
وراح يسألنا . . وما بالكم بهذا الرجل الذي لم يصله قرآن
ولم ينزل عليه كتاب . . ملتصقا بذلك ثغرة في العدل الإلهي
أو موهما نفسه بأن المسألة كلها عبث .

وهو لذلك يسألنا « ولماذا تتفاوت رحمة الله » . . لماذا
يشهد الله واحدا على آياته . . ولا يدري آخر بتلك الآيات
الا سمعا .

ونحن نقول انها قد لا تكون رحمة بل نقمة ألم يقل الله
لأتباع المسيح الذين ظلموا نزول مائدة من السماء محذرا :
(انى منزها عليكم فمن يكفر بعد هتكم فانى اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين) ١٥ - المائدة

ذلك لانه مع نزول المعجزات ياتى دائما تشديد العذاب
لمن يكفر .
وطوبى لمن آمن بالسماع ودون ان يرى معجزة .

والويل للذين شاهدوا ولم يؤمنوا .
فالقرآن في يدك حجة عليك ونذير . . ويوم الحساب بصريح
نقمة لا رحمة .

وعدم اقامة هذه الحجة النبوية على الاسكيمو ساكني القطبين
قد يكون اعفاء وتخفيفا ورحمة ومغفرة يوم الحساب . . وقد
تكون لفتة الى السماء من هذا الاسكيمو الجاهل ذات ساعة في
عمره . . عند الله كافية لقبوله مؤمنا مخلصا .
أما لماذا يرحم الله واحدا أكثر مما يرحم آخر فهو امر
يؤسسه الله على علمه بأنقلوب .

(فصل ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واذا بهم فتحنا
فريسا) ١٨ - الفتح

واعلم الله بنا وقلوبنا يندد الى ما قبل نزولنا في الارحام
حينما كنا عنده ارواحا حول عرشه . . قمنا من الف حول
نوره . . وما من انصرف عنه مسمنعا بالذكور وعدمه عن
جمال حاتفه . . واستحق الرتبة الدنيا من ذلك اليوم وسبق
عليه القول . . هذا كلام أهل المشاهدة .

وما نراه من تاريخنا القصير في الدنيا ليس كل شيء •
ومعرفة الحكمة من كل ألم وحرمان أمر لا يعلمه إلا العليم •
والذي يسألني •• لماذا خلق الله الخنزير خنزيراً •• لا أمك
الا أن أجيبه بأن الله اختار له ثوباً خنزيرياً لأن نفسه خنزيرية
وأن خلقه هكذا حق وعدل •

وكل ما نرى حولنا من استحقاقات هي عدل لكن معرفة
الحكمة الكلية واماطة اللثام عن هذا العدل أمر ليس في مقدور
كل واحد •

ولعل لهذا السبب هناك آخرة •• ويوم تنصب فيه
الموازين ونبينا العليم بكل ما اختلفنا فيه •
ومع هذا نسوف أريحك بالكلمة الفصل •• فقد قال الله
في كتابه انه لن يعذب الا من أنذرهم بالرسول •
(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ١٥ - الاسراء

هل أرحمت واسترحمت •

ثم دعني أقول لك يا صاحبي •

ان أعجب ما في سؤالك أن طاهره يومهم بالإيمان والاشفاق
على الرجعي المسكين الذي فاته ما في القرآن من نور ورحمة
وهدى •• مع أن حفتك هي الكفر بالقرآن وبسوره ورحمته
رهدها •• سؤالك اقرب ما يكون الى الاسندراج والمخادعة
وفيه مناقصة للنفس هي المكاعة بعينها •• فأنت تحاول أن
تقيم علينا حجة هي عندك ليس نها أي حجة •

ألا ترى معي يا صاحبي أن جهاز المنطق عندك في حاجة
إلى اصلاح •



● الجنة والنار

كان صديقنا الدكتور واثقا من نفسه كل الثقة هذه المرة وهو يلوك الكلمات ببطء ليلقى بالقنبلة - كيف يعذبنا الله وهو الرحمن الرحيم على ذنب محدود في الزمن بعذاب لا محدود في الابد (النار خالدين فيها ابدًا) ومن نحن وماذا نساوي بالنسبة لعظمة الله حتى ينتقم منا هذا الانتقام ٠٠ وما الانسان الا ذرة أو هبة في الكون وهو بالنسبة لجلال الله أهون من ذلك بكثير ٠٠ بل هو الاشئ بعينه .
وتحن نصصح معلومات الدكتور فنقول :

أولا - اننا لسنا ذرة ولا هبة في الكون ٠٠ وان شأننا عند الله ليس هينا بل عظيما ٠٠ ألم ينفخ فينا من روحه ٠٠ ألم يسجد لنا الملائكة ٠٠ ألم يعذبنا بميراث السموات والارض ويقول عنا :

(ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)
٧٠ - الاسراء

ان فينا اذن من روح الله .

ونحن بالنسبة للكون لسنا ذرة ولا هبة .. اننا نبتسم
بالنظر الى اجسادنا كذرة أو هبة بالنسبة للكون الفسيح
الواسع .

ولكن ألا نحتوى على هذا الكون ونستوعبه بعقلنا وندرك
قوانينه وأفلاكه ونرسم لكل كوكب مداره .. ثم ينزل رائد
الفضاء على القمر فيكتشف أن كل ما استوعبناه بعقلنا على
الأرض كان صحيحا .. وكل ما رسمناه كان دقيقا ..
ألا يدل هذا على أننا بالنظر الى روحنا أكبر من الكون وأننا
نحتوى عليه .. وإن الشاعر كان على حق حينما خاطب
الانسان قائلا :

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك أنطوى العالم الأكبر

وان الانسان كما يقول الصوفية هو الكتاب الجامع والكون
صفحاته .

اذن فالانسان عظيم الشأن كبير الخطر .

وهو من روح الله .

وأعماله تستوجب المحاسبة .

أما عن الذنب المحدود في الزمان الذي يحاسبنا الله عليه
بعذاب لا محدود في الابد .. فمقالطة أخرى وقع فيها الدكتور
العزيز الراحل من نفسه .

فأله يقول عن هؤلاء المخلدين في النار حينما يطلبون العودة
الى الدنيا ليحملوا غير ما عملوا .. يقول سبحانه :

(ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون) ٢٨ - الانعام

أى ان ذنبهم ليس ذنبا محدودا في الزمان .. بل هو
خصلة ثابتة سوف تتكرر في كل زمان .. ولو ردوا لعادوا
الى ذنبهم وانهم لكاذبون .

هى اذن صفة مؤبدة في النفس وليست سفة عارضة في
ضرب عارض في الدنيا .

وهو يقول عنهم في مكان آخر :

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء.. الا أنهم هم الكاذبون) ١٨ - المجادلة
هنا لون آخر من الاصرار والتحدى يصل الى أنهم يواجهون
الله بالكذب والحلف الكذب وهم بين يديه يوم الموقف العظيم
يوم ترفع الحجب وينكشف القطاء .. وهذا غاية الجبروت
والصلف .

ولست هنا امام ذنب محدود في الزمان .
بل امام ذنب مستمر في الزمان وبعد أن يطوى الزمان وكل
زمان .. نحن هنا امام نفس تحمل معها شرها الابدى .

ومن هنا كان تأييد المذاب لهذه النفوس عدلا .
ولهذا تقول عنهم الآية في صراحة :
(وما هم بغارجين من النار) ١٦٧ - البقرة
ويقول ابن عربى : ان الرحمة بالنسبة لهؤلاء انهم سوف
يتعمدون على النار .. وتصيح تلك النار فى الآباد المؤبدة
بيئتهم الملائمة .

ولا شك أن هناك مجانسة بين بعض النفوس المجرمة وبين
النار .. فبعض تلك النفوس هى فى حقيقتها شعلة حسنة
وحقد وشهوة وغيرة وغل وضرام من القضب والنقمة والنسوة
والمشاعر الاجرامية المحتدمة وكأنها نار بالفعل .
مثل تلك النفوس لا تستطيع أن تعيش فى سلام .
ولا تستطيع أن تعيش ساعة دون أن تشعل حولها حربا .
ودون أن تضرم حولها النيران .. لان النيران هى بيئتها
وطبيعتها .

ومثل تلك النفوس يكون قرارها فى النار هو الحكم العدل
ويكون هذا المصير من قبيل وضع الشيء فى مكانه .. فلو أنها
أدخلت الجنة لما تذوقتها .

الم تكن ترفض السلام فى الارض ؟
ويتبغى أن تفهم النار والجنة فى الآخرة فهما واسع الافق ..
فالنار فى الآخرة ليست شواية . وليس ما يجرى فيها هم

الحريق بالمعنى الدنيوى فالله يقول ان المذنبين فى النار يتكلمون ويتلاعنون وان النار فيها شجرة لها ثمر ٠٠ هى شجرة الزقوم التى تخرج من اصل الجحيم ٠٠ كما ان فيها ماء حميما يشرب منه المذبذبون .

مثل تلك النار التى فيها شجرة وفيها ماء ٠٠ ويتكلم فيها الناس لابد أنها نار غير النار :

(كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى اذا ادركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) ٢٧ - ٢٨ الاعراف انهم يتكلمون وهم فى النار وهى نار :

(وقودها الناس والحجارة) ٢٤ - البقرة .
هذه النار اذن هى من قبيل الغيب ٠٠ وما ورد عنها اشعارات .

ولا يجب أن يفهم من هذا الكلام أننا ننكر العذاب الحسى ونقول بالعذاب المعنوى ٠٠ فان العذاب الحسى صريح لا يجوز المشك فيه ونحن نؤمن بوجوده . وانما نقول ان تفاصيل هذا العذاب وكيفيته ٠٠ كما ان كيفية تلك النار وأوصافها التفصيلية ٠٠ هى غيب مجهول ٠٠ فهى على ما يبدو فى الاشارات القرآنية ٠٠ نار غير النار ٠٠ كما أن أجسامنا فى تحملها لتلك النار هى غير الاجسام الترابية الهشة التى لنا الآن

ونفس النسيء فى الجنة ٠٠ فهى ليست سوق خضار وبلح ورماد وعنب ٠٠ وانما تلك الاوصاف القرآنية هى مجرد اشعارات وضرب أمثلة وتقريب الى الاذهان .

(مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه) ١٥ - محمد

مثل الجنة ٠٠ أى أننا نضرب مثلا يقرب فهم الجنة اليك ولكن الحقيقة أن التفاصيل غيب .

(فلا تصمم نفس ما أخفى لهم من قرة عين جزاء بما كانوا يعملون) ١٧ - السجدة

(جنة عرضها السموات والارض) ١٣٣ - - - -
فهى لا يمكن أن تكون مجرد حديقة .
(وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) ٣٢ - ابواضة
فهى غير فاكهتنا المقطوعة والممنوعة . . . وخمر :
(لا يصدعون عنها ولا ينزفون)

فهى غير خمرا التى تصدع الراس وتنزف العفل .
ويقول القرآن عن أهل الجنة :
(ونزعنا ما فى صدورهم من غل) ٤٣ - الاعراف
ها هنا نفوس طهرت بطريقة لا تعلمها .

الجنة اذن هى الاخرى غيب وليس فى هذا الكلام أى انكار
للتعظيم الحسى فنحن نؤمن بأن الجنة تعميم حسى ومعنوى معا كما
أن النار عذاب حسى ومعنوى ولكن ما نريد تأكيده أن تعاضيل
هذا التعميم أو العذاب وكيماياته غيب . وأن الجنة ليست سرفا
للفاكهة والحضار ولا ائثار فرنا لشوى اللحم .
وان التعذيب فى الآخرة ليس تجبرا من الله على عبده وانما
هو تطهير وتعريف وتقويم ورحمة .

(ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم) ١٤٧ - النساء

فالاصل هو عدم العذاب .
والله لا يعذب العارف المؤمن وانما ينصب عذابه على طاحنه
المنكر الذى فسلت معه كل وسائل الابدابة والتعريف والتعويض .

(وتذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلمهم
يرجعون) ٢١ - السجدة

سنة الله أن يذيق عسولا من العذاب الاصغر من العذاب
لا يقاطهم من غفلتهم ولازعاجهم من عدا الصمم والسببات . .
لعلمهم يرجعون . .
فاذا لم تفلح كل هذه الوسائل . . وطل المنكر على انكاره
ثم يبق الا مواجهته بالعذاب الحق لتعريفه . . والمعريف بالحق
هو عين الرحمة . . ولو ان الله تركبه على عباده ورحمهم

وأهلهم فكان في حقه ظلما .. سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا .. فالعرض على النار بالنسبة لهؤلاء الجهال .. عناية .. وكل أعمال الله رحمة ..
 يرحم الجاهل بالمحيم تأديبا وتعلما ..
 ويرحم العارف بالجنة فضلا وكرامة ..
(عذابهم أصيب به من اتسأه ورحمتي وسعت كل شيء)
 ١٥٦ - الاعراف

جعل رحيمته تسع كل شيء حتى العذاب ..
 ثم دعونا نسأل الدكتور .. أيكون الله أكثر عدلا في نظره
 لو أنه ساوى بين الظالمين والمظلومين وبين السفاحين وضحاياهم
 فدمهم لكان حفلة شاي في الآخرة ..
 وهل العدل في نظر الدكتور أن يستوى الأبيض والأسود ..
 والمؤمن يستبعدون على الله أن يعذب نكول : ألا يعذبنا الله
 بأنفسه في ربنا ؟ وماذا تكون الشيخوخة والمرض والسرطان
 إذا عذاب بمنه ..
 ومن شائق الميكروب ١١٦٠٠
 ليست حسيها اندازات باننا أمام اله يمكن أن يعذب ..



● هل الدين أفيون؟

قال لى صاحبى الدكتور وهو يفضم بعينيه :

— وما رأيك فى الذين يقولون ان الدين أفيون وانه يخدر
الفقراء والمظلومين ليناموا على ظلمهم و فقرهم ويحلموا بالجنة
والحور العين . . بينما يثبت الاغنياء على غناهم باعتبار أنه حق
وأن الله خلق الناس درجات ؟
وما رأيك فى الذين يقولون ان الدين لم ينزل من عند الله
وانما طلع من الارض من الظروف والدواعى الاجتماعيه ليكون
سلاحا لطبقة على طبقة ؟
وهو يشير بذلك الى الماديين وأفكارهم .
قلت :

— ليس أبعد من الخطأ القائل بأن الدين أفيون . . فالدين
فى حقيقته أعباء وتكاليف وتبعات وليس تخففا وتحللا وبالتالى
ليس مهريا من المسئوليات وليس أفينا .
• وديننا عمل وليس كسلا .
(**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم**) ١٠٥ — التوبة
• ونحن نقول بالتواكل وليس بالتواكل .

والتوكل يقتضى عندنا العزم واستفراغ الوسع وبذل غاية
الطاقة والحيلة ثم التسليم بعد ذلك لقضاء الله وحكمه .
(فاذا عزمتم فتوكل على الله) ١٥٩ - آل عمران

العزم أولا .

والنبي يقول لمن يريد أن يترك ناقته سائبة توكلأ على
حفظ الله . . « اعقلها وتوكل » . . أى ابدل وسعك أولا فثبتها
فى عقالها ثم توكل .

والدين صحو وانتباه ويقظة ومحاسبة للنفس ومراقبة
للضمير فى كل فعل وفى كل كلمة وكل خاطر وليس هذا
حال آكل الافيون .

انما آكل الافيون الحقيقى هو المادى الذى ينكر الدين هربا
من تبعاته ومسئولياته ويتصور أن لحظته ملكه وانه لا حسيب
ولا رقيب ولا بعث بعد الموت فيفعل ما يخطر على باله ، وأين
هذا الرجل من المتدين المسلم الذى يعتبر نفسه مسئولاً عن
سابع جار . . واذا جاع فرد فى أمته أو ضربت دابة عاتب
نفسه بأنه لم يقم بواجب الدين فى عنقه .

وليس صحيحاً أن ديننا خرج من الارض . . من الظروف
والدواعى الاجتماعية ليكون سلاحاً لطبقة على طبقة وتثبيتاً لغير
الاغنياء وفقر الفقراء .

والعكس هو الصحيح . . فالاسلام جاء ثورة على الاغنياء
والكائزين المال والمستغلين والظالمين . فأمر صراحة بأن لا يكون
المال دولة بين الاغنياء يحتكرونها ويتداولونها بينهم وانما يكون
حقاً للجميع .

(والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله
بشرهم بعذاب اليم) ٣٤ - التوبة
والانفاق يبدأ من زكاة اجبارية $\frac{2}{4}$ فى المائة . . ثم يتصاعد
اختيارياً الى كل ما فى الجيب وكل ما فى اليد فلا تبقى لنفسك
الا خبزك كفافك .

(يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ٢١٩ - البقرة
والعفو هو كل ما زاد عن الكفاف والحاجة .

وبهذا جمع الاسلام بين التكليف الجبرى القانونى والتكليف
الاختيارى القائم على الضمير ، وهذا أكرم للانسان من نزع
املاكه بالقهر والمصادرة .
• ووصل بالاتفاق الى ما فوق التسعين فى المائة دون ارهاق .
ولم يأت الاسلام ليثبت ظلم الظالمين بل جاء ثورة صريحة
على كل الظالمين وجاء سقيفا وحربا على رقاب الطواغيت
والمستبدين .
• أما التهمة التى يسوقها الماديون بأن الدين رجمى وطبقى
بدليل الآيات :

(والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) ٧١ - البنحل

(ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ٣٢ - الزحرف
فنحن نرد بأن هذه الآيات تنطبق على لندن وباريس وبرلين
وموسكو بمثل ما تنطبق على القاهرة ودمشق وجدة ، واذا
مشينا فى شوارع موسكو فسوف نجد من يسير على رجليه .
• ومن يركب بسكليت . • ومن يركب عربة موسكوفتش . • ومن
يركب عربة زيم فاخرة . • وماذا يكون هذا الا التفاضل فى
الرزق بعينه والدرجات والرتب الاقتصادية .

والتفاوت بين الناس حقيقة جوهرية .
• ولم تستطع الشيوعية أن تلغى التفاوت .
• ولم يقل حتى غلاة المادية والفوضوية بالمساواة .
• والمساواة غير ممكنة فكيف نساوى بين غير متساويين .
الناس يولدون من لحظة الميلاد غير متساوين فى الذكاء
والقوة والجمال والمواهب . • يولدون على درجات فى كل شيء .
• وأقصى ما طمعت فيه المذاهب الاقتصادية هى المساواة فى
الفرص وليس المساواة بين الناس . • أن يلغى كل واحد نفس
الفرصة فى التعليم والعلاج والحد الأدنى للمعيشة . • وهو
نفس ما تحض عليه الأديان . • أما إلغاء الدرجات وإلغاء التفاوت
فهو الظلم بعينه والأمر الذى يناهى الطبيعة . • والطبيعة تقوم

كلها على أساس التفاضل والتفاوت والتنوع في ثمار الارض
وفي البهائم وفي الناس .

في القطن نجد طويل التيلة وقصير التيلة وجيزة ٧
وسكلاريدس وفولي جود فير ٠٠ في البلح نجد الزغلول
والسماني والحيايى ٠٠ وفي العنب نجد البناتى والفيومى
والازمرلى .

وفي الحيوان والانسان نجد الرتب والدرجات والتفاوت
أكثر .

هذا هو قانون الوجود كله ٠٠ التفاضل
وحكمة هذا القانون واضحة ٠٠ فلو كان جميع الناس
يولدون بخلقة واحدة وقالب واحد ٠٠ ونسخة واحدة ٠٠ لما
كان هناك داع لميلادهم أصلا ٠٠ وكان يكفى أن تأتى نسخة
واحدة فتغنى عن الكل ٠٠ وكذلك الحال فى كل شىء ٠٠
ولانتهى الامر الا فقر الطبيعة وافلاسها .

وانما غنى الطبيعة وخصبها لا يظهر الا بالتنوع فى ثمارها
وغلاتها والتفاوت فى ثمارها .

ومع ذلك فالدين لم يسكت على هذا التفاوت بين الاغنياء
والفقراء بل أمر بتصحيح الاوضاع وجعل للفقر نصيبا فى
مال الغنى ٠٠ وقال ان هذا التفاوت فتنة وامتحان .

(وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون) ٢٠ - الفرقان
سوف نرى ماذا يفعل القوى بقوته ٠ هل ينجد بها الضعفاء
أم يضرب ويقتل ويكون جبارا فى الارض ٠٠ وسوف نرى ماذا
يفعل الغنى بفناه ٠٠ هل يطفى ويسرف ٠٠ أم يعطف ويحسن
وسوف نرى ماذا يفعل الفقير بفقره ٠٠ هل يحسد ويحقد
ويسرق ويختلس ٠٠ أم يعمل ويكد ويجتهد ليرفع مستوى
معيشته بالشرع والعدل .

وقد أمر الدين بالعدل وتصحيح الاوضاع وبالمساواة بين
الفرص ٠٠ وهبدد بعذاب الآخرة ، وقال بأن الآخرة ستكون
أيضا درجات أكثر تفاوتا لتصحيح ما لم يجر تصحيحه
فى الارض .

(وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) ٢١ - الاسراء
وللذين يتهمون الاسلام بالرجعية السياسية نقول ان
الاسلام أتى بأكثر الشرائع تقدمية في نظم الحكم .
احترام الفرد في الاسلام بلغ الذروة . . وسبق ميثاق
حقوق الانسان وتفوق عليه . . فماذا يساوى الفرد الواحد في
الاسلام انه يساوى الانسانية كلها .

(من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكانما قتل
الناس جميعا ومن أحيأها فكانما أحيأ الناس جميعا)
٣٢ - المائدة

لا تغنى المنجزات ولا الاصلاحات المادية ولا التعمير
ولا السدود ولا المصانع . . اذا قتل الحاكم فردا واحدا ظلما
في سبيل هذا الاصلاح ، فانه يكون قد قتل الناس جميعا .
ذروة في احترام الفرد لم يصل اليها مذهب سياسى قديم
أو جديد . . فالفرد في الاسلام له قيمة مطلقة بينما في كل
المذاهب السياسية له قيمة نسبية . . والفرد في الاسلام آمن
في بيته . . وفي أسراره « لا تجسس ولا غيبة » آمن في ماله
ورزقه وملكيته وحرية .

كل شيء حتى التحية حتى افساح المجلس حتى الكلمة الطيبة
لها مكان في القرآن .

وقد نهى القرآن عن التجبر والظلم والافراد بالحكم .

وقال الله للنبي « وهو من هو في كماله وصلحياته » .

(وما أنت عليهم بجبار) ٤٥ - ق

(فذكر انما أنت مذكر . . لست عليهم بمسيطر)

٢١ - الغاشية

(انما المؤمنون اخوة) ١٠ - الحجرات

ونهى عن عبادة الحاكم وتاليه العظيم :

(لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله) ٦٤ - آل عمران

(وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه) ٢٣ - الاسراء

ونهى عن الفوغائية وتملق الدماء والسوقة والجري وراء

الاغلبية المضللة وقال أن :

(أكثر الناس لا يعلمون) ٢١ - يوسف
(بل أكثرهم لا يعقلون) ٦٣ - العنكبوت
(أكثر الناس لا يؤمنون) ٥٩ - غافر
(ان يتبعون الا الظن وان هم الا يغرصون « يكذبون »)
١١٦ - الانعام

(ان هم الا كالانعام بل هم اضل) ٤٤ - الفرقان
ونهى عن العنصرية والعرقية :
(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ١٣ - الحجرات

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) ١٨٩ - الاعراف
وبالمعنى العلمى كان الاسلام تركيبا جدليا جامعا بين مادية
اليهودية وروحانية المسيحية ، بين العدل الصارم الجاف الذى
يقول : السن بالسن والعين بالعين ، وبين المحبة والتسامح
المتطرف الذى يقول : من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر .
وجاء القرآن وسطا بين التوراة التى حرفت حتى أصبحت
كتابا ماديا ليس فيه حرف واحد عن الآخرة ، وبين الانجيل
الذى مال الى رهبانية تامة ، ونادى القرآن بناموس الرحمة
الجامع بين العدل والمحبة فقال بشرعية الدفاع عن النفس ولكنه
فضل العفو والصفح والمغفرة .

(ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ٤٣ - الشورى
واذا كانت الرأسمالية أطلقت للفرد حزية الكسب الى درجة
استقلال الآخرين . . . واذا كانت الشيوعية سحقت هذه الحرية
تماما . . . فابى الاسلام قيم الحزن الوسط .

(للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)
٣٢ - النساء

الفرد حر فى الكسب ولكن ليس له ان يأخذ ثمرة ارباحه
كلها . . . وانما له فيها نصيب . . . وللفقير نصيب يؤخذ زكاة
وانفاقا من ٢٥ فى المائة الى ٩٠٪ جبرا واختيارا . . . وهذا

النصيب ليس تصدقا وتفضلا وإنما هو حق الله في الربح .
وبهذه المعادلة الجميلة حفظ الإسلام للفرد خريته وللقير حقه .
ولهذا أصاب القرآن كل الصواب حينما خاطب أمة الإسلام
قائلا :

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا) ١٤٣ - البقرة

فقد اختار الإسلام الوسط العدل في كل شيء .
وهو ليس الوسط الحسبى وإنما الوسط الجسدى أو
التركيب الذى يجمع النقيضين (اليمين واليسار) ويتجاوزهما
ويزيد عليهما . . . ولذلك ليس فى الإسلام يمين ويسار وإنما
فيه « صراط » الاعتدال الوسط الذى نسمية الصراط المستقيم
من خرج عنه باليمين أو اليسار فقد انحرف .

ولم يقيدنا القرآن بدستور سياسى محدد أو منهج مفصل
للحكم لعلم الله بأن الظروف تتغير بما يقتضى الاجتهاد فى وضع
دساتير متغيرة فى الازمنة المتغيرة ، وحتى يكون الباب مفتوحا
أمام المسلمين للاخذ والعطاء من المعارف المتاحة فى كل عصر
دون انغلاق على دستور بعينه .

ولهذا اكتفى القرآن بهذه التوصيات السياسية العامة
السالفة كخصائص للحكم الامثل . . . ولم يكبلنا بنظرية وهذا
سر من أسرار اعجازه وتفوقه وليس فقرا ولا نقصا فيه .
وتلك لمسة أخرى من تدمية القرآن التى سبقت كل
التقديمات .

ونرد على القائلين بأن الدين جمود وتحجر . . . بأن الإسلام
لم يكن أبدا دين تجمد وتحجر وإنما كان دائما و أبدا دين نظر
وفكر وتطوير وتغيير بدليل آياته الصريحة .

(قل سـيروا فى الارض فانظروا كيف بدأ الخلق)
٢٠ - العنكبوت

(فلينظر الانسان مم خلق . . . خلق من ماء دافق . . . يخرج
من بين الصلب والترائب) ٧ - الطارق
(أفلا ينظرون الى الأبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت

والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سسطحت)
١٩ - الفاشية

أوامر صريحة بالنظر فى خلق الانسان وفى خلق الحيوان
وفى خلق الجبال وفى طبقات الارض وفى السماء وأفلاكها .
وهى نظرات تضم كل ما نعينه الآن بعلم الجيولوجيا والفلك
والتشريح والفسولوجيا والبيولوجيا وعلم الاجنة .
أوامر صريحة بالسير فى الارض وجمع الشواهد واستنباط
الاحكام والقوانين ومعرفة كيف بدأ الخلق . وهو ما نعرفه
الآن بعلوم التطور .

ولا خوف من الخطأ .
فالاسلام يكافىء الذى يجتهد ويخطئ بأجر والذى يجتهد
ويصيب بأجرين .

وليس صحيحا ما يقال من أننا تخلفنا بالدين وتقدم الغرب
بالاحاد . . والحق أننا تخلفنا حينما هجرنا أوامر ديننا .
وحينما كان المسلمون يأمرون بهذه الآيات حقا كان هناك
تقدم وكانت هناك دولة من المحيط الى الخليج وعلماء مثل
ابن سينا فى الطب وابن رشد فى الفلسفة وابن الهيثم فى
الرياضيات وابن النفيس فى التشريح وجابر بن حيان فى
الكيمياء .

وكانت الدنيا تأخذ عنا علومنا . . وما زالت مجمعات
النجوم وأبراجها تحتفظ الى الآن بأسمائها العربية فى المعاجم
الاوروبية . . وما زالوا يسمون جهاز التقطير بالفرنسية
imbique ومنه الفعل من كلمة أمبيق العربية . imbiquer
ولم يتقدم الغرب بالاحاد بل بالعلم .

وانما وقع الخلل مما حدث فى العصور الوسطى من طغيان
الكنيسة ومحاكم التفتيش وحجرها على العلم والعلماء وما حدث
من سجن غاليليو وحرق جيوردانو برونو .
حينما حكمت الكنيسة وانحرف بها البابوات عن اهدافها
النبية فكانت عنصر تأخر . . فتصور النقاد السطحيون ان

هذا ينسحب أيضا على الاسلام وهو خطأ .. فالاسلام ليس فيه بابوية ولا كهنوت .. والله لم يقم بينه وبين المسلمين اوصياء ولا وسطاء .

وحيثما حكم الاسلام بالفعل كان عنصر تقدم كما شرحنا وكما يقول التاريخ مكذبا هذه المزاعم السطحية .
وآيات القرآن الصريحة تحض على العلم وتأمّر بالعلم ولا تقيم بين العلم والدين أى تناقض :

(وقل رب زدني علما) ١١٤ - طه

(هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ٩ - الزمر
(شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم)
١٨ - آل عمران

جعل الله الملائكة وأولى العلم فى الآية مقترنين بشرف اسمه ونسبته .

وأول آية فى القرآن وأول كلمة كانت « اقرأ » والعلماء فى القرآن موعودون بأرفع الدرجات :
(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)
١١ - المجادلة

وتتكرر كلمة العلم ومشتقاته فى القرآن نحو من ثمانمائة وخمسين مرة .

فكيف ينكلم بعد هذا متكلم عن تناقض بين الدين والعلم أو حجر من الدين على العلم .

والنظر فى الدين وتطوير فهمه مطلوب ، وتاريخ الاسلام كله حركات احياء وتطوير .. والقرآن برىء من تهمة التحجير على الناس وكل شيء فى ديننا يقبل التطوير .. ما عدا جوهر العقيدة وصلب الشريعة .. لان الله واحد ولن يتطور الى اثنين أو ثلاثة .. هذا أمر مطلق .. وكذلك الشر شر والخير خير .. لن يصبح القتل فضيلة ولا السرقة حسنة ولا الكذب حلية يتحل بها الصالحون .

وفيما عدا ذلك فالدين مفتوح للفكر والاجتهاد والاضافة والتطوير .

وجوهر الاسلام عقلاني منطقي يقبل الجدل والحوار ويحض على استخدام العقل والمنطق .

وفي أكثر من مكان وفي أكثر من صفحة في القرآن نعثر على التساؤل . . « أفلا يعقلون » . . « أفلا يفقهون » .

وأهل الدين عندنا هم « أولو الالباب » .

(شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)
٥٢ - الانفال

(أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها
أو آذان يسمعون بها) ٤٦ - الحج

- احترام العقل في لب وصميم الديانة
- والايجابية عصبها والثورة روحها
- لم يكن الاسلام أبدا خانعا ولا سلبيا

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) ١٩٠ - البقرة
(ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم

بنيان مرصوص) ٤ - الصف

والجهاد بالنفس والمال والاولاد . . والقتال والثبات وعدم
النبكوص على الاعقاب ، ومواجهة اليأس والمصابرة والمرابطة في
صلب ديننا .

فكيف يمكن لدين بهذه المرونة والعقلانية والعلمية
والايجابية والثورة أن يتهم بالتحجر والجمود الا من صديق
عزيز مثل الدكتور القادم من فرنسا لا يعرف من أوليات دينه
شيئا ولم يقرأ في قرآنه حرفا .



● وحكاية الإسلام مع المرأة؟

قال صديقي الدكتور :

— ألا توافقنى أن الإسلام كان موقفه رجميا من المرأة ؟

ويدأ يعد على أصابعه

— حكاية تعدد الزوجات وبقاء المرأة فى البيت .. والحجاب والطلاق فى يد الرجل .. والضرب والهجر فى المضاجع .. وحكاية ما ملكت أيمانكم ، وحكاية الرجال قوامون على النساء ونصيب الرجل المضاعف فى الميراث .

قلت له وأنا أستجمع نفسى :

· التهم هذه المرة كثيرة .. والكلام فيها يطول .. ولنبدأ من البداية .. من قبل الإسلام .. وأظنك تعرف تماما أن الإسلام جاء على جاهلية ، والبنت التى تولد نصيبها الواد والدفن فى الرمل ، والرجل يتزوج العشرة والعشرين ويكره جواريه على البغاء ويقبض الثمن .. فكان ما جاء به الإسلام من اباحة الزواج بأربع تقييدا وليس تعديدا .. وكان انقاذا للمرأة من العار والموت والاستعباد والمذلة .

وهل المرأة الآن فى أوروبا أسعد حالا فى الانحلال الشائع هناك وتعدد العشيقات الذى أصبح واقع الامر فى أغلب الزيجات

ليس أكرم للمرأة أن تكون زوجة ثانية لمن تحب . . لها
كافة حقوق الزوجة واحترامها من أن تكون عشيقة في السر
تختلس المتعة من وراء الجدران .

ومع ذلك فالاسلام جعل من التعدد اباحة شبه معطلة وذلك
بأن شرط شرطا صعب التحقيق وهو العدل بين النساء .
**(وان خلتهم الا تعدلوا فواحدة) . . (ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ١٢٩ - النساء**

نفى قدرة العدل حتى عن المريض فلم يبق الا من هو أكثر
من حريص كالانبياء والاولياء ومن في درجهم .
أما البقاء في البيوت فهو أمر وارد لزوجات النبي باعتبارهن
مثلا عليا .

(وقرن في بيوتكن) ٣٣ - الاحزاب
وهي اشارة الى أن الوضع الامثل للمرأة هي أن تكون
أما ورثة بيت تفرغ لبيتها ولأولادها .

ويمكن أن نتصور حال أمة نساؤها في الشوارع والمكاتب
وأطفالها في دور الحضانة والملاجئ . . أتكون أحسن حالا
أو أمة النساء فيها أمهات وربات بيوت والأطفال فيها يتربون
في حضانة أمهاتهم والأسرة فيها متكاملة الخدمات .
الرد واضح .

ومع ذلك فالاسلام لم يمنع المقتضيات التي تدعو الى خروج
المرأة وعملها . . وقد كانت في الاسلام فقيهاً وشاعرات . .
وكانت النساء يخرجن في الحروب . . ويخرجن للعلم .
انما توجهت الآية الى نساء النبي كمثل عليا ، وبين المثال
والممكن والواقع درجات متعددة .
وقد خرجت نساء النبي مع النبي في غزواته .

وينسحب على هذا أن الخروج لمعونة الزوج في كفاح شريف
هو أمر لا غبار عليه .
أما الحجاب فهو لصالح المرأة .

وقد أباح الإسلام كشف الوجه واليدين وأمر بستر ما عدا ذلك .

ومعلوم أن المنوع مرغوب وان ستر مواطن الفتنة يزيد ما جاذبية .

وبين القبائل البدائية وبسبب العرى الكامل يفتر الشوق تماما وينتهي الفضول ونرى الرجل لا يخالط زوجته الا مرة في الشهر واذا حملت قاطعها سنتين .

وعلى الشواطىء فى الصيف حينما يتراكم اللحم العارى المباح للعيون يفقد الجسم العريان جاذبيته وطرافته وفتنته ويصبح أمرا عاديا لا يثير الفضول .

ولا شك أنه من صالح المرأة أن تكون مرغوبة أكثر والأ تتحول الى شىء عادى لا يثير .

أما حق الرجل فى الطلاق فيقابلهُ حق المرأة أيضا على الطرف الآخر فيمكن للمرأة أن تطلب الطلاق بالمحكمة وتحصل عليه اذا أبدت المبررات الكافية .

ويمكن للمرأة أن تشتترط الاحتفاظ بعصمتها عند العقد . . وبذلك يكون لها حق الرجل فى الطلاق .

والاسلام يعطى الزوجة حقوقا لا تحصل عليها الزوجة فى أوروبا - فالزوجة عندنا تأخذ مهرا . . وعندهم تدفع دوطه . . والزوجة عندنا لها حق التصرف فى أملاكها . . وعندهم تفقد هذا الحق بمجرد الزواج ويصبح الزوج هو القيم على أملاكها .

أما الضرب والهجر فى المضاجع فهو معاملة المرأة الناشز فقط . . أما المرأة السوية فلها عند الرجل المودة والرحمة .

والضرب والهجر فى المضاجع من معجزات القرآن فى فهم النشوز . . وهو يتفق مع أحدث ما وصل اليه علم النفس العصرى فى فهم المسلك المرضى للمرأة .

وكما نعلم يقسم علم النفس هذا المسلك المرضى الى نوعين - « المسلك الخضوعي » وهو ما يسمى فى الاصطلاح العلمى « ماسوشزم masochism » وهو تلك الحالة المرضية التى

تلتذ فيها المرأة بأن تضرب وتمذب وتكون الطرف الخاضع والنوع الثاني هو « المسلك التحكمي » وهو ما يسمى في الاصطلاح العلمي « ساذم » sadism وهو تلك الحالة المرضية التي تلتذ فيها المرأة بأن تتحكم وتسيطر وتتجبر وتتسلط وتوقع الاذى بالغير ، ومثل هذه المرأة لا حل لها سوى انتزاع شوكتها وكسر سلاحها الذي تتحكم به ، وسلاح المرأة أنوثتها وذلك بهجرها في المضجع فلا يعود لها سلاح تتحكم به . . . أما المرأة الاخرى التي لا تجد لذتها الا في الخضوع والضرب فان الضرب لها علاج . . . ومن هنا كانت كلمة القرآن .

(**واهجروهن في المضاجع واضربوهن**) ٣٤ - النساء
 اعجازا علميا وتلخيصا في كلمتين لكل ما أتى به علم النفس في مجلدات عن المرأة الناشئ وعلاجها .

أما حكاية « ما ملكت أيمانكم » التي أشار اليها السائل فانها تجرنا الى قضية الرق في الاسلام . . . واتهام المستشرقين للاسلام بأنه دعا الى الرق . . . والحقيقة أن الاسلام لم يدع الى الرق . . . بل كان الدين الوحيد الذي دعا الى تصفية الرق .

ولو قرأنا الانجيل . . . وما قاله بولس الرسول في رسائله الى أهل افسس وما أوصى به العبيد لوجدناه يدعو العبيد دعوة صريحة الى طاعة سادتهم كما الرب .

« أيها العبيد . . . أطيعوا سادتكم بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كما الرب » . . .

ولم يأمر الانجيل بتصفية الرق كنظام وانما أقصى ما طالب به كان الأمر بالمحبة وحسن المعاملة بين العبيد وسادتهم .

وفي التوراة المتداولة كان نصيب الاحرار أسوأ من نصيب العبيد . . . ومن وصايا التوراة أن البلد التي تستسلم بلا حرب يكون حظ أهلها أن يساقوا رقيقا وأسارى والتي تدافع عن نفسها بالسيف ثم تستسلم يعرض أهلها على السلاح . ويقتل شيوخها وشبابها ونساؤها وأطفالها ويدبحوا تديبا .

كان الاسترقاق اذن حقيقة ثابتة قبل مجيء الاسلام وكانت الاديان السابقة توصي بولاء العبد لسيدته .

فنزل القرآن ليكون أول كتاب سماوى يتكلم عن فك الرقاب وعتق الرقاب .

ولم يحزم القرآن الرق بالنص الصريح . . . ولم يأمر بتسريح الرقيق . . . لان تسريحهم فجأة وبأمر قرآنى فى ذلك الوقت وهم مئات الآلاف بدون صناعة وبدون عمل اجتماعى وبدون توظيف يستوعبهم كان معناه كارثة اجتماعية وكان معناه خروج مئات الآلاف من الشحاذين فى الطرقات يستجدون الناس ويمارسون السرقة والدعارة ليجدوا للقمّة . وهو أمر أسوأ من الرق ، فكان الحل القرآنى هو قفل باب الرق ثم تصفية الموجود منه . . . وكان مصدر الرق فى ذلك العصر هو استرقاق الاسرى فى الحروب فأمر القرآن بأن يطلق الاسير أو تؤخذ فيه فدية وبأن لا يؤخذ الاسرى أرقاء .

(فاما منا بعد . . . واما فداء) ٤ - محمد

فاما أن تمن على الاسير فتطلقه لوجه الله . . . واما تأخذ فيه فدية .

أما الرقيق الموجود بالفعل فتكون تصفيته بالتدرج وذلك يجعل فك الرقاب وعتق الرقاب كفارة الذنوب صغيرها وكبيرها وبهذا ينتهى الرق بالتدريج .

والى أن تأتى تلك النهاية فماذا تكون معاملة السيد لما ملكت يمينه . . . أباح له الاسلام أن يعاشرها كزوجته .

وهذه حكاية « ما ملكت أيمانكم » التى أشار اليها السائل ولا شك أن معاشره المرأة الرقيق كالزوجة كان فى تلك الايام تكريما لا اهانة .

وينبغى ألا ننسى موقف الاسلام من العبد الرقيق وكيف جعل منه أبا بعد أن كان عبدا يداس بالقدم .

(انما المؤمنون اخوة) ١٠ - الحجرات

(هو الذى خلقكم من نفس واحدة) ١٨٩ - الاعراف

(لا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله) ٦٤ - آل عمران

وقد ضرب محمد عليه الصلاة والسلام المثل حينما تبنى عبدا رقيقا هو زيد بن حارثة فأعتقه وجعل منه ابنه ٠٠ ثم زوجته من الحرة سليلة البيت الشريف زينب بنت جحش ٠ كل هذا ليكسر هذه العنجهية والعصبية ٠٠ وليجعل من تحرير العبيد موقفا يقتدى به ٠٠ وليقول بالفعل وبالمثال أن رسالته هي عتق الرقاب ٠

أما أن الرجال قوامون على النساء فهي حقيقة في كل مكان في البلاد الاسلامية ٠ وفي البلاد المسيحية ٠ وفي البلاد التي لا تعرف لها ولا ديننا ٠

في موسكو الملحدة الحكام رجال من أيام لينين وستالين وخروشوف وبولجانين الى اليوم ، وفي فرنسا الحكام رجال، وفي لندن الحكام رجال ، وفي كل مكان من الارض الرجال هم الذين يحكمون ويشرعون ويخترعون ، وجميع الانبياء كانوا رجالا ، وجميع الفلاسفة كانوا رجالا ، حتى الملحنين « مع أن التلحين صنعة خيال لا يحتاج الى عضلات » رجال ، وكما يقول العقاد ساخرا : حتى صنعة الطهي والحيافة والموضة وهي تخصصات نسائية تفوق فيها الرجال ثم انفردوا بها ٠

وهي ظواهر لا دخل للشريعة الاسلامية فيها ٠٠ فهي ظواهر عامة في كل بقاع الدنيا حيث لا تحكم شريعة اسلامية ولا يحكم قرآن ٠

انما هي حقائق ٠٠ ان الرجل قوام على المرأة بحكم الطبيعة واللياقة والحاكمة التي خصه بها الخالق ٠ واذا ظهرت وزيرة أو زعيمة أو حاكمة فانها تكون الطرافة التي تروى اخبارها والاستثناء الذي يؤكد القاعدة ٠

والاسلام لم يفعل أكثر من أنه سجل هذه القاعدة وهذا يعسر لنا بعد ذلك لماذا أعطى القرآن الرجل ضعف النصيب في الميراث ٠٠ لانه هو الذي ينفق ولانه هو الذي يعول ٠٠ ولانه هو الذي يعمل ٠

كان موقف الاسلام من المرأة هو العدل .
وكانت سيرة النبي مع نسائه هي المحبة والحدب والحنان .
الم يؤثر عنه قوله :
« حبيب الى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني
في الصلاة » .

فذكر النساء مع الطيب والعطر والصلاة وهذا غاية الاعزاز،
وكان آخر ما قاله في آخر خطبة له قبل موته هو التوصية
بالنساء .

واذا كان الله قد اختار المرأة للبيت والرجل للشارع فلانه
عهد الى الرجل امانة التعمير والبناء والانشاء بينما عهد الى
المرأة امانة أكبر وأعظم هي تنشئة الانسان نفسه .

وانه من الاعظام لشأن المرأة أن تؤتمن على هذه الامانة .
فهل ظلم الاسلام النساء !!؟



● الروح

قال صديقي الدكتور وهو يعلم هذه المرة أن الاشكال سيكون عسيرا .

– ما دليلك على أن الانسان له روح وأنه يبعث بعد موت وأنه ليس مجرد الجسد الذي ينتهى الى تراب . وماذا يقول دينكم فى تحضير الارواح ؟
قلت بعد برهة تفكير :

– لا شك أن السؤال اليوم صعب والكلام عن الروح ضرب فى تيه والحقائق الموجودة قليلة ولكنها مع ذلك فى صفنا نحن وليست فى صفكم .

ومضت برهة أغرقت فيها فى التفكير ثم قلت مردفا :
– فكر معى قليلا . ان أول المؤشرات التى تساعدنا على التدليل على وجود الروح . ان الانسان ذو طبيعة مزدوجة .
الانسان له طبيعتان :

طبيعة خارجية ظاهرة مشهودة هى جسده تتصف بكل صفات المادة ، فهى قابلة للوزن والقياس متحيزة فى المكان متمزنة بالزمان دائمة التغير والحركة والصبورية من حال الى حال ومن لحظة الى لحظة فالجسد تتداول عليه الاحوال من صحة

الى مرض الى سمنة الى هزال الى تورد الى شعوب الى نشاط
الى كسل الى نوم الى يقظة الى جوع الى شبع ، وملحق بهذه
الطبيعة الجسدية شريط من الانفعالات والعواطف والفرائز
والمخاوف لا يكف لحظة عن الجريان في الدماغ .
ولان هذه الطبيعة والانفعالات الملحقة بها تتصف بخواص
المادة نقول ان جسد الانسان ونفسه الحيوانية هما من المادة .
ولكن هناك طبيعة اخرى مخالفة تماما للاولى ومغايرة لها
في داخل الانسان .

طبيعة من نوع آخر تتصف بالسكون واللازمان واللامكان
والديمومة . هي العقل بمعايره الثابتة وأقيسته ومقولاته .
والضمير بأحكامه ، والحس الجمالي وال أنا التي تحمل كل تلك
الصفات « من عقل وضمير وحس جمالي وحس أخلاقي » .
وال أنا غير الجسد تماما وغير النفس الحيوانية التي تلتهب
بالجوع والشبق .

ال أنا هي الذات العميقة المطلقة وعن طريق هذه الذات
العميقة يشعر الانسان بذلك الشعور العميق بالحضور
والكينونة والشخص والتمول في العالم . وبأنه هنا وبأنه
كان دائما هنا . وهو شعور ثابت ممتد لا يطرأ عليه التغير
لا يسمن ولا يهزل ولا يمرض ولا يتصف بالزمان . وليس
فيه ماض وحاضر ومستقبل . إنما هو « أن » مستمر
لا ينصرم كما ينصرم الماضي . وإنما يتمثل في شعور بالدوام
. . بالديمومة .

هنا نوع آخر من الوجود لا يتصف بصفات المادة فلا هو
يطرأ عليه التغير ولا هو يتحيز في المكان أو يتزمن بالزمان
ولا هو يقبل الوزن والقياس . بالعكس نجد أن هذا الوجود
هو الثابت الذي نقيس به المتغيرات والمطلق الذي نعرف به
كل ما هو نسبي في عالم المادة .
وأصدق ما نصف به هذا الوجود انه روعي وأن طبيعته
روحية .

ولنا أن نسال بعد ذلك .
 أى الطبيعتين هي الانسان حقا .
 هل الانسان بالحقيقة هو جسده أو روحه .
 ولنعرف الجواب علينا أن نبحث أى الطبيعتين هي الحاكمة
 على الأخرى .
 يقول لنا الماديون أن الانسان هو جسده ، وأن الجسد هو
 الحاكم وأن كل ما ذكرت من عقل ومنطق وحس جمال وحس
 أخلاقي وضمير وهذه « التخريفة » التي اسمها الذات أو ال أنا
 كل هذا ملحق بالجسد ثانوى عليه تابع له ياتمر بأمره ويقوم
 على خدمته ويتولى اشباع شهواته وأهوائه .

هذا كلام اخواننا الماديين وهو خطأ ، فالحقيقة أن الجسد
 تابع وليس متبوعا مأمور وليس أمرا ألا يجوع الجسد فنرفض
 امداده بالطعام لاننا قررنا أن نصوم هذا اليوم لله . . . ألا يتحرك
 بشهوة فنزجره ؟!

ألا نصحو في الصباح فيبدأ الجسد تلقائيا فى تنفيذ خطة
 عمل وضعها العقل وصنف بنودها بندا بندا . . . من ساعة
 الى ساعة . . . من التابع هنا ومن المتبوع ؟

ولحظة التضحية بالنفس حينما يضع الغدائي حزام
 الديناميت حول جسده ويتقدم ليحطم الدبابة ومن فيها . . .
 أين جسده هنا . . . أين المصلحة المادية التي يحققها بموته . . .
 ومن الذى يأمر الآخر . . . ان الروح تقرر اعدام الجسد فى لحظة
 مثالية تماما لا يمكن أن يفسرها مذهب مادى بأى مكسب مادى
 والجسد لا يستطيع أن يقاوم هذا الامر . . . ولا يملك أى قوة
 لمواجهته ، لا يملك الا أن يتلاشى تماما . . . وهنا يظهر أى
 الوجودين هو الاعلى . . . وأى الطبيعتين هي الانسان حقا .
 وعندنا اليوم أكثر من دليل على أن الجسد هو الوجود
 الثانوى . . . ما يجرى الآن من حوادث البتر والاستبدال وزرع
 الاعضاء . . . وما نقرؤه عن القلب الالكترونى والكلية الصناعية
 وبنك الدم وبنك العيون ومخازن الاكسسوار البشرى حيث

يجرى تركيب السيقان والاذرع والقلوب .
ولن تكون نكتة أن يدخل العريس على عروسه سنة ٢٠٠٠
فيجدها تغلخ طقم الاسنان والباروكة والنهود الكاوتشوك
والعين الصناعية والساق الخشبية فلا يتبقى منها الا هيكل
مثل شاسيه السيارة بعد نزع الجلد والكراسي والابواب .
ال هذه الدرجة يجرى فك الجسم وتركيبه واستبداله دون
أن يحدث شيء للشخصية لان هذه الذراع أو تلك الساق أو
ذلك الشعر أو العين أو النهدي كل هذه الاشياء ليست هي
الانسان . . . فهي تنقل وتستبدل وتوضع مكانها بطاريات
ومسامير وقطع من الالمونيوم دون أن يحدث شيء . . . فالانسان
ليس هذه الاعضاء وانما هو الروح الجالسة على عجلة القيادة
لتدير هذه الماكينة التي اسمها الجسد .

انها الادارة التي يمثلها مجلس ادارة من خلايا المخ . .
ولكنها ليست المخ .

فالمخ مثله مثل خلايا الجسد يصعد بالوامر التي تصدر
اليه ويعبر عنها ولكنه في النهاية ليس أكثر من قفاز لها . .
قفاز تلبسه هذه اليد الخفية التي اسمها الروح وتتصرف به
في العالم المادي .

نفهم من هذه الشواهد كلها أن الانسان له طبيعتان :
طبيعة جوهرية حاكمة هي روحه
وطبيعة ثانوية زائلة هي جسده .

وما يحدث بالموت أن الطبيعة الزائلة تلتحق بالزوال
والطبيعة الخالدة تلتحق بالخلود فيلتحق الجسد بالتراب وتلتحق
الروح بعالمها الباقي .

ولعشاق الفلسفة نقدم دليلا آخر على وجود الروح من
الخاصية التي تتميز بها الحركة .

فالحركة لا يمكن رصدها الا من خارجها .
لا يمكن أن تدرك الحركة وأنت تتحرك معها في نفس الفلك
وانما لابد من عتبة خارجية تقف عليها لترصدها . . ولهذا

تأتى عليك لحظة وأنت فى أسانسير متحرك لا تستطيع ان تعرف هل هو واقف أم متحرك لانك أصبحت قطعة واحدة معه فى حركته . . لا تستطيع ادراك هذه الحركة الا اذا نظرت من باب الاسانسير الى الرصيف الثابت فى الخارج .

ونفس الحالة فى قطار يسير بنعومة على القضبان . . لا تدرك حركة مثل هذا القطار وأنت فيه الا لحظة شروعه فى الوقوف او لحظة اطلالك من النافذة على الرصيف الثابت فى الخارج . وبالمثل لا يمكنك رصد الشمس وأنت فوقها ولكن يمكنك رصدها من القمر أو الارض . . كما لا يمكنك رصد الارض وأنت تسكن عليها وانما تستطيع رصدها من القمر .

لا تستطيع أن تحيط بحالة الا اذا خرجت خارجها . ولهذا ما كنا لنستطيع ادراك مرور الزمن لولا أن الجزء المدرك فينا يقف على عتبة منفصلة وخارجة عن هذا المرور الزمنى المستمر « أى على عتبة خلود » .

ولو كان ادراكنا يقفز مع عقرب الثواني كل لحظة لما استطعنا أن ندرك هذه الثواني أبدا . ولا نصرم ادراكنا كما تنصرم الثواني بدون أن يلاحظ شيئا .

وهى نتيجة مذهلة تعنى ان هناك جزءا من وجودنا خارجا عن اطار المرور الزمنى « أى خالد » هو الذى يلاحظ الزمن من عتبة سكون ويدركه دون أن يتورط فيه ولهذا لا يكبر ولا يشيخ ولا يهرم ولا ينصرم . . ويوم يسقط الجسد ترايا سوف يظل هذا الجزء على حاله حيا حياته الخاصة غير الزمنية هذا الجزء هو الروح .

وكل منا يستطيع أن يحس بداخله هذا الوجود الروحى على صورة حضور وديمومة وشخص وكيونة مفايرة تماما للوجود المادى المتغير المتقلب النابض مع الزمن خارجه . هذه الحالة الداخلية التى ندركها فى لحظات الصحو الباطنى والتى أسميتها حالة حضور . . هى المفتاح الذى يقودنا الى الوجود الروحى بداخلنا ويضع يدنا على هذا اللغز الذى اسمه الروح . . .

ودليل آخر على طبيعتنا الروحية هو شمورنا الفطرى بالحرية،

ولو كنا أجساما مادية ضمن اطار حياة مادية تحكمتنا القوانين
المادية المحتمية لما كان هناك معنى لهذا الشعور الفطرى بالحرية.
لنسا روح اذن تعملو على الزمن وتتخطى الموت وتتخطى
الحتميات المادية .

• ماذا عن البعث اذن .

لم يعد أحد بعد الموت ليخبرنا ماذا جرى له .
ولم يأت يوم البعث لنقدم دليلا ملموسا وشاهد عيان .
وكل ما يمكن قوله فى موضوع البعث انه حقيقة دينية
يرجحها العقل والعلم .
لماذا يرجحها العقل والعلم ؟

لان شواهد الوجود وظواهره تشير جميعها الى أن هناك
عودا على بدء ودورة لكل شىء . . . بعد النهار يأتى الليل ثم يعود
من جديد فبأتى النهار ، الشمس تشرق ثم تغرب ثم تعود
فتشرق .

الصيف والخريف والشتاء والربيع ثم تعود فتتكرر الدورة
من جديد فيأتى الصيف ثم الخريف ثم الشتاء الخ . . . بعد
اليقظة ونوم الليل نعود فنستيقظ من جديد . . . وهذا يرجح
أنه بعد رقود الموت هناك صحوة بعث . . . لان هناك عودا لكل
شىء . . . والله يسمى نفسه فى القرآن المبدى والمعيد .

(كما بدأكم تعودون) ٢٩ - الاعراف

(يبدأ الخلق ثم يعيده) ٤ - يونس

الا يدور كل شىء فى فلك من الذرة الى المجرة، حتى الحضارات
لها دورات والتاريخ له دورات .

هذا العود الابدى فى كل شىء يرجح البعث .
الدليل الآخر على البعث هو النظام المحكم الذى ليس فيه
بادرة خلل واحدة من اكبر المجرات حتى اصغر الذرات حتى
الالكترونون الذى لا يرى نجد النظام والقانون يهيمن على كل
شىء . . . حتى الالكترونون المتناهى فى الصغر لا يستطيع أن
ينتقل من فلك الى فلك فى الذرة الا اذا اعطى أو أخذ مقدارا
من الطاقة يساوى حركته . . . وكأنه راكب قطار لا يستطيع

السفر الى اى مكان بدون تذكرة . فكيف نتصور فى هذا النظام المحكم أن يهرب قاتل أو يفر ظالم من الجزاء لمجرد أنه ضلل البوليس ، ان العقل يتصور انه لابد سيلقى جزاءه حتماً، وان هناك لابد عالماً آخر يسوى فيه الحساب . . هكذا يقول العدل . ونحن مغطورون على تحرى العدل وعلى حب العدل والبحث عن العدل ومحاولة تحقيق العدل .

ومع ذلك فالعدل فى الدنيا غير موجود . وكما يقول أهل الفكر اذا كان الظمأ الى الماء يدل على وجود الماء . . فلا بد أن الظمأ الى العدل يدل على وجود العدل . . فان لم يكن موجودا فى دنيانا فلا بد أن له يوماً وساعة تنصب فيها موازينه .

كل هذه مؤشرات تشير وترجع أن هناك بعثاً وحساباً وعالماً آخر .

والمؤمن الذى يصدق القرآن فى غير حاجة الى هذه الاستدلالات لانه آمن بقلبه وأراح نفسه من الجدل . يبقى بعد ذلك أن نسال . . وما الروح .

(ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ٨٥ - الاسراء

هى لغز ولا أحد يعلم عنها شيئاً . والعجيب انه كلما جاء ذكر الروح فى القرآن ذكرت معها كلمة من أمر ربي .

(يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) ١٥ - غافر

(ينزل الملائكة بالروح بالروح من أمره على من يشاء من عباده)

٢ - النحل

(تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر)

٤ - القدر

(وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا) ٥٢ - الشورى

دائماً كلمة « من أمرنا » . . « من أمره » . . « من أمر ربي »

كلما ذكرت الروح . .
أىكون أمر الله روحاً ؟

وكلمة الله روحا ؟

الم يقل الله عن المسيح عليه السلام انه :
(كلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم) ٤٥ - آل عمران
وانه :

(كلمته القاها الى مريم وروح منه) ١٧١ - النساء
الكلمة .. الامر .. الروح .. هل هي الفاظ مترادفة

لمعنى واحد :

• هي مجرد اشارات

• ولا أحد يعلم الحقيقة الا العليم

• يبقى بعد ذلك سؤالك عن تحضير الارواح

• وتحضير الارواح عندنا امر مشكوك فيه

مشكوك فيه ان ظواهر الغرفة المظلمة سببها حضور روح

• فلان أو إعلان

ومفكر كبير مثل هنرى سودر يقول : ان تلك الظواهر

مصدرها العقل الباطن للوسيط والقوى الروحية للوسيط

ذاته .. ولا شيء يحضر بالمرّة

ويقول المفكرون الهنود : ان الذى يتلبس الوسيط أثناء

التحضير هي ارواح سفلية تعرف بعض الاشياء عن الموتى

وتستخدمها فى السخرية بمقول الموجودين والضحك عليهم

ويقول الصوفية المسلمون ان الذى يحضر فى تلك الجلسات

ليس الروح ولكن القرين ، وهو الجن الذى كان يصاحب الميت

أثناء حياته .. وهو بحكم هذه الصحبة يعرف أسراره ..

ولان الجن معمر فانه يبقى حيا بعد موت صاحبه .. وهو الذى

يحضر الجلسات ويفشى أسرار صاحبه ويقلد صوته وعاداته

ليسخر من الموجودين على عادة الجن فى عداثهم للانسان

• وهم يقولون : اننا اذا دققنا جرس المكتب فان الذى يحضر

هو الخادم .. أما السادة فانهم لا يتركون عالمهم ويحضرون

بهذه السذاجة وبالمثل فى عالم الارواح .. فالذى يحضر فى

الجلسات ويهرج على الموجودين هي الارواح السفلية والجن ومن

فى مستواهم

أما الأرواح البشرية فهي في عالم آخر هو عالم البرزخ ولا يمكن استحضارها .. ولكنها قد تتصل بمن تحب في الحلم أو في اليقظة إذا توفرت الظروف الملائمة .
ومن الجلسات الكثيرة التي حضرناها ومما جمعنا من خبرة خاصة في هذا الموضوع نقول : انه لا يوجد دليل واحد على أن ظواهر الغرفة المظلمة سببها حضور الروح المطلوبة .

وربما كان رأى الصوفية المسلمين أكثر الآراء تفسيراً لما يحدث .

والمسألة ما زالت قيد البحث .

وللاسف السعوزات في هذا الموضوع أكثر من الحقائق .. والكلمة الاخيرة لم تقل بعد .

ولا شك أنك سوف تضحك على كلمات مثل الجن والأرواح السفلية .. والقرين .

ولك عذر .. فإذا كنت لا تؤمن بروحك أنت فكيف يتوقع منك أن تؤمن بجنى .. وإذا كنت لا تؤمن بالله فكيف ينتظر منك أن تؤمن بشياطينه .

ومع ذلك لو كنت ولدت منذ مائة سنة وجاءك رجل يحدثك عن أشعة غير منظورة تحرق الحديد ، وصور تنتقل في الهواء عبر المحيطات في أقل من ثانية ، ورائد فضاء يمشى على تراب القمر .. ألم تكن تضحك وتقهقه وتستلقي على قفاك أضماغ ما تضحك الآن .. وتقول لنفسك .. هذا رجل هارب من مستشفى المجاذيب ومع ذلك فيا لها من حقائق ملء السمع والبصر الآن .



● الضمير

قال صاحبي :

- أنتم تتكلمون عن الضمير في تقديس كما لو كان شيئا مطلقا مع انه أحد المصنوعات الاجتماعية ، عملة نحاسية لا أكثر صكت ودمقت وسبكت في فرن التعاملات الاجتماعية وهو عندنا شيء تتغير أحكامه وضوابطه وفق المصالح الجارية والقيمة التي تفيد نقول عنها خيرا والقيمة التي تضر نقول عنها شرا ولو كانت هذه القيمة هي العفة التي تتمسكون بها كميونكم .

قلت له في هدوء :

- نعم .. هذا هو رأى الفلسفة المادية على ما أسمع ..
ان الضمير سلطة زجر وردع نبتت من الدواعي الاجتماعية ..
مجرد تحصيل خبرة تتفاوت بين شخص وشخص وبين عصر وعصر وبين أمة وأمة ..
هذا كلامكم .
ولكن الحقيقة غير ذلك ..

الحقيقة أن الضمير نوز وضعه الله فى الفطرة ومؤشر ودليل

وبوصلة نولد بها .. تهدينا الى الحقائق وكل دور الاكتساب
الاجتماعى انه يجلو مرآة هذه البوصلة ويصقل زجاجها .
ولنا على ذلك براهين تؤيدنا وتشجب كلامكم .
انظر الى عالم الحيوان حيث لا مجتمع . ترى القطة تتهرب
ثم تستدير لتغطى فضلاتها بالتراب ، فى أى مجتمع قططى
تعلمت القطة هذا الوازع ؟

وكيف ميزت بين القدارة والنظافة ؟
وأنت ترى القطة تسرق السمكة فاذا ضبطتها وضربتها على
رأسها طاطات ونكست بصرها فى احساس واضح بالذنب ..
وتراها تلهو مع الاطفال فى البيت فتكسر فآزة أثناء اللعب ..
فماذا يحدث ، انها تجرى فى فزع وتختبئ تحت الكراسى وقد
أدركت أنها أخطأت .
كل هذه شواهد وملامح ضمير .

وليس فى مملكة القطط دواع لنشأة هذه المشاعر ..
ولا نرى حتى مجتمعا قططيا من الاساس .
وتقاليد الوفاء الزوجى فى الحمام .
وتبل الحصان فى ارتباطه بصاحبه حتى الموت .
وكبرياء الاسد وترفعه عن الهجوم على فريسته من الخلف .
وخجل الجمل وتوقفه عن مضاجعة أنثاه اذا وجد أن هناك
عيناً ترقبه .

ثم تلك الحادثة البليغة التى رآها جمهور المشاهدين فى
السيرك القومى بالقاهرة .. حينما قفز الاسد على المدرب
محمد الحلو من الخلف وأنشب مخالفه فى كتفه وأصابه
بجرح قاتل .

وبقية الحادثة يرويها موظفو السيرك .. كيف امتنع الاسد
عن الطعام .. وحبس نفسه فى زنزانته لا يبرحها .. وكيف
نقلوه الى حديقة الحيوان وقدموا له أنثى لتروح عنه فضربها
وطردها .. وظل على صيامه ورفضه للطعام ثم انقض على يده
لآتمة وظل يمزقها حتى نزف ومات .

حيوان ينتحر ندما وتكفيرا عن جريمته .
من أى مجتمع فى دنيا السباع أخذ الاسد هذه التقاليد . .
هل فى مجتمع السباع أن افتراس الانسان جريمة تدعو
الى الانتحار .

نحن هنا امام نبل وخلق وضمير لا نجده فى بشر .
ونحن امام فشل كامل للتفسير المادى وللتصور المادى
لحقيقة الضمير .

ولا تفسير لما نراه سوى ما يقوله الدين . . من أن الضمير
هو نور وضعه الله فى الفطرة وان كل دور الاكتساب الاجتماعى
أن يجلو صدا النفس فتشف عن هذا النور الالهى .

وهذا هو ما حدث بين الاسد ومدربه . . المعاشرة والمحبة
والمصاحبة صقلت تلك النفس الحيوانية فأيقظت ذلك القبس
الرحمانى . . فاذا بالاسد يحزن ويندم وينتحر كمدا كالبشر .
« الحلال بين والحرام بين » . . كما قال نبينا عليه
الصلاة والسلام .

« استفت قلبك وان أفتاك الناس » .
لسنا فى حاجة الى كلية شريعة لنعرف الخطأ من الصواب
والحق من الباطل والحرام من الحلال . . فقد وضع الله فى قلب
كل منا كلية شريعة . . وميزانا لا يخطئ ، وكل ما نحن
مطالبون به أن نجلو نفوسنا من غواشى المادة ومن كثافة
الشهوات فنبصر ونرى ونعرف ونميز بدون عكاز « الحبرة
الاجتماعية » وذلك بنور الله الذى اسمه الضمير .

(يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا)

٢٩ - الانفال

يقول الله فى الحديث القدسى للمصطفى محمد بن عبد الجبار :

« كيف تياس منى وفى قلبك سفرى ومتحدثى » .
الضمير حقيقة ثابتة والقيم الاخلاقية الاساسية هى بالمثل
ثابتة فقتل البرىء لن يصبح يوما ما فضيلة وكذا السرقة

والكذب وايداء الآخرين والفحشاء والفجور والبذاءة والغلظة
والقسوة والنفاق والحيانة كل هذه نقائص خلقية ، وسسوف
تظل هكذا الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وكذلك سوف تظل المحبة والرحمة والصدق والحلم والعفو
والاحسان فضائل . . . ولن تتحول الى جرائم الا اذا فسدت
السموات والارض وساد الجنون وانتهى العقل .



● هل مناسك الحج

وثنائية؟

قال صاحبي وهو يفرك يديه ارتياحا ويبتسم ابتسامة خبيثة تبدى نواجذه وقد لمعت عيناه بذلك البريق الذي يبدو في وجه الملاك حينما يتأهب لتوجيه ضربة قاضية .
- ألا تلاحظ معي أن مناسك الحج عندكم هي وثنية صريحة .
ذلك البناء الحجري الذي تسمونه الكعبة وتمسحون به وتطوفون حوله ، ورجم الشيطان . . والهرولة بين الصفا والمروة ، وتقبيل الحجر الاسود . . وحكاية السبع طوفات والسبع رجعات والسبع هرولات وهي بقايا من خرافة الارقام الطلسمية في الشعوب القديمة ، وثوب الاحرام الذي تلبسونه على اللحم . . لا تؤخذنى اذا كنت أجرحك بهذه الصراحة ولكن لا حياء في العلم .

وراح ينفث دخان سيجارته ببطء ويراقبني من وراء نظارته .

قلت في هدوء :

- ألا تلاحظ معي أنت أيضا أن في قوانين المادة التي درستها أن الاصغر يطوف حول الأكبر ، الالكترون في الذرة يدور حول النواة ، والقمر حول الارض ، والارض حول الشمس ، والشمس

حول المجرة ، والمجرة حول مجرة أكبر ، الى أن نصل الى «الأكبر مطلقا» وهو الله . . . الا نقول « الله أكبر » . . . أى أكبر من كل شيء . . . وبالتالي وحسب قانونك العلمى يجب أن تطوف حوله كل شيء . . . وأنت الآن تطوف حوله ضمن مجموعتك الشمسية رغم أنك ولا تملك الا أن تطوف فلا شيء ثابت فى الكون الا الله هو الصمد الصامد الساكن والكل فى حركة حوله . . . وهذا هو قانون الاصغر والأكبر الذى تعلمته فى الفيزياء . . . أما نحن فنطوف باختيارنا حول بيت الله . . . وهو أول بيت اتخذ الانسان لعبادة الله . . . فأصبح من ذلك التاريخ السحيق رمزا وبيتنا لله . . . الا تطوفون أنتم حول رجل محتط فى الكرملين تظمونه وتقولون انه أفاد البشرية ، ولو عرفتم لشكسبير قبرا لتسابقتم الى زيارته بأكثر مما نتسابق الى زيارة قبر محمد عليه الصلاة والسلام . . . الا تضعون ياقة ورد على نصب حجرى وتقولون انه يرمز للجندى المجهول فلماذا تلوموننا لاننا نلقى حجرا على نصب رمزى نقول انه يرمز الى الشيطان . . . ألا تعيش فى هرولة من ميلادك الى موتك ثم بعد موتك يبدأ ابنك الهرولة من جديد وهي نفس الرحلة الرمزية من الصفا « الصفاء أو الخواء أو الفراغ رمز للعدم » الى المروة وهو النبع الذى يرمز الى الحياة والوجود . . . من العدم الى الوجود ثم من الوجود الى العدم . . . ليست هذه هي الحركة الهندولية لكل المخلوقات . . . ألا ترى فى مناسك الحج تلمخيصا رمزيا عميقا لكل هذه الاسرار .

ورقم ٧ الذى تسخر منه . . . دعنى أسالك ما السر فى أن درجات السلم الموسيقى ٧ صول لا سى دو رى مى فا ثم بعد المقام السابع يأتى جواب الصول من جديد . . . فلا نجد ٨ وانما نعود الى سبع درجات أخرى وهلم جرا ، وكذلك درجات الطيف الضوئى ٧ وكذلك تدور الالكترونات حول نواة الذرة فى نطاقات ٧ والجنين لا يكتمل الا فى الشهر ٧ واذا ولد قبل ذلك يموت وأيام الاسبوع عندنا وعند جميع أفراد الجنس البشرى ٧ وضعوها كذلك دون أن يجلسوا ويتفقوا . . . الا يدل ذلك على

شيء . . . أم أن كل هذه العلوم هي الأخرى شعوذات طلسمية .
ألا تقبل خطابا من حبيبك . . . هل أنت وثني ؟ فلماذا تلومنا
إذا قبلنا ذلك الحجر الأسود الذي حمله نبينا محمد عليه
الصلاة والسلام في ثوبه وقبله . لا وثنية في ذلك بل مرة . .
لأننا لا نتجه بمناسك العبادة نحو الحجارة ذاتها . . وإنما
نحو المعاني العميقة والرموز والذكريات .

إن مناسك الحج هي عدة مناسبات لتحريك الفكر وبعث
المشاعر وإثارة التقوى في القلب . أما ثوب الاحرام الذي
نلبسه على اللحم ونشترط ألا يكون مخيطا فهو رمز للخروج
من زينة الدنيا وللتجرد التام أمام حضرة الخالق . . تماما كما
نأتى الى الدنيا في اللفة ونخرج من الدنيا في لفة وندخل القبر
في لفة . . ألا تشترطون أنتم لبس البديل الرسمية لمقابلة الملك
ونحن نقول : انه لا شيء يليق بجلالة الله الا التجرد وخلع جميع
الزينة لانه أعظم من جميع الملوك ولانه لا يصلح في الوقفة
أمامه الا التواضع التام والتجرد . . ولان هذا الثوب البسيط
الذي يلبسه الغنى والفقير والمهراجا والمليونير أمام الله فيه معنى
آخر للاخوة رغم تفاوت المراتب والثروات .

والحج عندنا اجتماع عظيم ومؤتمر سنوي . . ومثله
صلاة الجمعة وهي المؤتمر الصغير الذي نلتقى فيه كل أسبوع .
هي كلها معان جميلة لمن يفكر ويتأمل . . وهي أبعد ما تكون
عن الوثنية .

ولو وقفت معي في عرفة بين عدة ملايين يقولون الله أكبر
ويتلون القرآن بأكثر من عشرين لفة ويهتفون لبيك اللهم لبيك
ويبكون ويذوبون شوقا وحيا - لبيك أنت أيضا دون أن
تدرى وذبت في الجمع الغفير من الخلق . . وأحسست بذلك
الفناء والحسوع أمام الاله العظيم مالك الملك الذي بيده
مقالينسد كل شيء .

● لماذا لا يكون القرآن من تأليف محمد؟

قال صاحبي وهو ينتقى عباراته :

- لا أريد أن اجرحك فانا أعلم اعتراضك بالقرآن وأنا معك في أنه كتاب قيم .. ولكن لماذا لا يكون من تأليف محمد .. ان رجلا في عظمة محمد لا يستغرب منه أن يضع كتابا في عظمة القرآن .. وسوف يكون هذا منطقيا أكثر من ان نقول ان الله أنزله . فانا لم نر الله ينزل من السماء شيئا .. ونحن في عصر من الصعب أن نقنع فيه انسانا بأن هناك ملاكا اسمه جبريل نزل من السماء بكتاب ليوحى به الى أحد .

قلت في هدوء :

- بل نحن في عصر يسهل فيه تماما أن نصدق بأن هناك ملائكة لا ترى وبأن الحقائق يمكن أن تلقى الى الانسان وحيا .. فهم يتكلمون اليوم عن أطباق طائرة تنزل على الارض من كواكب بعيدة واسمعة غير منظورة تقتل ، وأمواجا لاسلكية تحدد الاهداف وتضربها .. وصورا تتحول الى ذبذبات في الهواء ثم تستقبل في أجهزة صغيرة كعلب التبغ .. وكاميرات تصور الاشباح ..

وعيوننا ترى في الظلام ٠٠ ورجلا يمشى على القمر ٠٠ وسفينة
تنزل على المريخ ٠

لم يعد غريبا أن نسمع أن الله أرسل ملكا خفيا من ملائكته ٠٠
وأنه القي بوحيه على أحد أنبيائه ٠٠ لقد أصبح وجود جبريل
اليوم حقيقة من الدرجة الثانية ٠٠ وأقل عجبا وغرابة مما نرى
ونسلم كل يوم ٠

أما لماذا لا نقول أن القرآن من تأليف محمد عليه الصلاة
والسلام ٠٠ فلأن القرآن يشكله وعباراته وحروفه وما احتوى
عليه من علوم ومعارف وأسرار وجمال بلاغي ودقة لغوية هو مما
لا يدخل في قدرة بشر أن يؤلفه ٠٠ فإذا أضفنا الى ذلك أن
محمدنا عليه الصلاة والسلام كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ولم
يتعلم في مدرسة ولم يختلط بحضارة ولم يبرح شبه الجزيرة
العربية فان احتمال الشك واحتمال القاء هذا السؤال يغدو
مستحيلا ٠٠ والله يتحدى المتكرين أمثالك ممن زعموا أن القرآن
مؤلف ٠

(قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله)

٣٨ - يونس

استمعينوا بالجن والملائكة وعباقرة الانس وأتوا بسورة من
مثله ٠

ومازال التحدى قائما ولم يأت أحد بشيء ٠
وإذا نظرنا الى القرآن في حياد وموضوعية فسوف نستبعد
تماما ان يكون محمد عليه الصلاة والسلام هو مؤلفه ٠٠ أولا ٠٠
لانه لو كان مؤلفه لبث فيه همومه وأشجانه ونحن نراه في عام
واحد يفقد زوجه خديجة وعمه أبا طالب ولا سند له في الحياة
غيرهما ٠٠ وفجيعته فيهما لا تقدر ٠٠ ومع ذلك لا يأتى لهما
ذكر في القرآن ولا كلمة ٠٠ وكذلك يموت ابنه ابراهيم ويبيكه
ولا يأتى لذلك خبر في القرآن ٠٠ القرآن معزول تماما عن
الذات المحمدية ٠

بل ان الآية لتأتى مناقضة لما يفعله محمد وما يفكر فيه ٠٠
وأحيانا تنزل الآية معاتبة له كما حدث بصدد الاعمى الذي

انصرف عنه النبي الى اشراف قريش .
(عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر
فتنلعه الذكرى) ١ - ٤ عبس

وأحيانا تنزل الآية فتنقض عملا من أعمال النبي .
(ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يشخن في الارض
تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة . . لولا كتاب من الله
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم) ٦٧ - الانفال

وأحيانا يأمر القرآن محمدا عليه الصلاة والسلام بأن يقول
لاتباعه ما لا يمكن ان يقوله لو أنه كان يؤلف الكلام تأليفا .
(قل ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم)
٩ - الأحقاف

لا يوجد نبي يتطوع من تلقاء نفسه ليقول لاتباعه لا أدري
ما يفعل بي ولا بكم . . لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا . . ولا املك
لكم ضرا ولا نفعا . .

فإن هذا يؤدي الى ان ينفض عنه أتباعه . .
وهذا ما حدث فقد اتخذ اليهود هذه الآية عذرا ليقولوا . .
ما نفع هذا النبي الذي لا يدري ماذا يفعل به ولا بنا . . هذا
رجل لاجدوى فيه . .
مثل هذه الآيات ما كان يمكن ان يؤلفها النبي لو كان يضع
القرآن من عند نفسه .

ثانيا - لو نظرنا بعد ذلك في العبارة القرآنية لوجدنا انها
جديدة منفردة في وصفها وبنائها ومعناها ليس لها شبيهه فيما
سبق من أدب العرب ولا شبيهه فيما اتى لاحقا بعد ذلك . .
حتى لتكاد اللغة تنقسم الى شعر ونثر وقرآن . . فنحن امام
كلام هو نسيج وحده لا هو بالنثر ولا بالشعر . فموسيقى
الشعر تأتي من الوزن ومن التقفية فنسمع الشاعر ابن ابرص
الاسدي ينشد :

أقفر من أهله عبيد
فليس يبدى ولا يعيد

هنا الموسيقى تخرج من التشطير ومن التفقيه على الدال
الممدودة ، فهي موسيقى خارجية ٠٠ أما موسيقى القرآن فهي
موسيقى داخلية ٠

(والضحي والليل اذا سجي) ١ - الضحي
لا تشطير ولا تقفية في هذه العبارة البسيطة ولكن الموسيقى
تقطر منها ٠٠ من اين ٠٠ انها موسيقى داخلية ٠
اسمع هذه الآيات ٠

(رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم اكن
بدعائك رب شقيا) ٤ - مريم
وهذه الآيات ٠

(طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ٠ الا تذكرة لمن يخشى
تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العل ٠ الرحمن على العرش
استوى) طه - ١ - ٤

فاذا تناولت الايات تهديدا تحول بناء العبارة ونحتها الى
جلاميد صخر وأصبح للايقاع صلصلة نحاسية تصنع السمع ٠
(انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر
تنزع الناس كأنهم اعجاز نخل منقعر) ١٩ - ٢٠ القمر
كلمات مثل « صرصرا » ٠٠ « ومنقعر » ٠٠ كل كلمة كأنها
جلمود صخر ٠

فاذا جاءت الآية لتروى خبرا هائلا كما في نهاية الطوفان
تقاصرت العبارات وكأنها اشارات مورس التلغرافية ،
واصبحت الآية كلها كأنها تلغراف مقتضب له وقع هائل
(وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء اقلعي وغيض الماء
وقضى الامر) ٤٤ - هود

هذا التلون في نحت الالفاظ وفي بناء العبارة وفي ايقاع
الكلمات مع المعاني والمشاعر ٠٠ يبلغ في القرآن ذروة ٠٠
ويأتى دائما منسابا لا تكلف فيه ولا تعمل ٠

ثالثا - اذا مضينا فى التحليل اكثر فانا سنكتشف الدقة البالغة والاحكام المذهل . . كل حرف فى مكانه لا تقديم ولا تاخير . . لا تستطيع ان نضع كلمة مكان كلمة ولا حرفا مكان حرف . . كل لفظة تم اختيارها من مليون لينة بميزان دقيق . وسنرى ان هذه الدقة البالغة لا مثيل لها فى التأليف .

انظر الى هذه الكلمة « لواقح » فى الآية
(وأرسلنا الرياح لواقح) ٢٢ - الحجر

وكانوا يفسرونها فى الماضى على المعنى المجازى بمعنى أن الرياح تثير السحب فتسقط المطر فيلقح الارض بمعنى « يخصبها » ثم عرفنا اليوم أن الرياح تسوق السحب ايجابية التكهرب وتلقى بها فى أحضان السحب سالبة التكهرب فيحدث البرق والرعد والمطر . . وهى بهذا المعنى « لواقح » أيضا ونعرف الآن أيضا أن الرياح تنقل حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة فتلقحها بالمعنى الحرفى .

فها نحن امام كلمة صادقة مجازيا وحرفيا وعلميا ثم هى بعد ذلك جميلة فنيا وأديبا وذات ايقاع حلو .
هنا نرى منتهى الدقة فى انتقاء اللفظة ونحتها ، وفى آية أخرى .

(لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون)
١٨٨ - البقرة

كلمة « تدلوا » .

مع أن الحاكم الذى تلقى اليه الاموال فى الاعلى وليس فى الاسفل . . لا . . ان القرآن يصحح الوضع . . فاليد التى تأخذ الرشوة هى اليد السفلى ولو كانت يد الحاكم . . ومن هنا جاءت كلمة « تدلوا بها الى الحكام » لتعبر فى بلاغة لا مثيل لها عن دناءة المرتضى وسفله .

وفى آية الجهاد .

(ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض)
٢٨ - التوبة

القرآن يستعمل كلمة « اناقلتم » بدلا من تناقلتم ٠٠ يدمج الحروف ادماجا ويلصقها الصاقا ليعبر عن جبن الجبناء الذين يلتصقون بالارض « ويتربسون » فيها من الخوف اذا دعوا الى القتال فجاءت حروف الكلمة بالمثل « متربسة » .

وفى آية قتل الاولاد من الفقر نراها جاءت على صورتين :

(ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم)

١٥١ - الانعام

(ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم)

٣١ - الاسراء

والفرق بين الآيتين لم يأت اعتباطا وانما جاء لأسباب محسوبة ٠٠ فحينما يكون القتل من املاق فان معناه أن الاهل فقراء فى الحاضر فيقول نحن « نرزقكم » واياهم ٠ وحينما يكون قتل الاولاد خشية املاق فان معناه أن الفقر هو احتمال فى المستقبل ولهذا تشير الآية الى الابناء فتقول نحن « نرزقهم » واياكم ٠ مثل هذه الفروق لا يمكن أن نخطر على بال مؤلف ٠ وفى حالات التقديم والتأخير نجد دائما انه لحكمة ٠ نجد أن السارق مقدم على السارقة فى آية السرقة بينما الزانية مقدمة على الزانى فى آية الزنا ٠٠ وذلك لسبب واضح أن الرجل أكثر ايجابية فى السرقة ٠٠ أما فى الزنا فالمرأة هى التى تأخذ المبادرة ٠٠ من لحظة وقوفها أمام المرأة تضع البارقان ولمسات التواليت وتختار الفستان أعلى الركة فانها تنصب الفخاخ للرجل الموعود ٠

(الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة)

٢ - النور

(والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) ٢٨ - المائدة

وبالمثل تقديم السمع على البصر فى أكثر من ١٦ مكانا ٠

(وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧٨ - النحل

(وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) ٢٦ - الاحقاف

(اسمع بهم وابصر) ٣٨ مريم

(ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مستولا)

٣٦ - الاسراء -

(وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم)

٢٢ - فصلت -

(ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) ١١ الشورى

دائما السمع أولا .

ولا شك ان السمع أكثر ارهاقا وكمالا من البصر .

اننا نسمع الجن ولا نراه .

والانبياء سمعوا الله وكلموه ولم يره أحد .

وقد تلقى محمد عليه الصلاة والسلام القرآن سمعا ٠٠ والام

تميز بكاء ابنها في الزحام ولا تستطيع أن تميز وجهه ٠٠

والسمع يصاحب الانسان أثناء النوم فيظل صاحبا بينما تنام

عيناه ، ومن حاول تشريح جهاز السمع يعلم أنه أعظم دقة

وارهاقا من جهاز البصر .

وبالمثل تقديم المال على الولد .

(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم)

٨٨ - الشعراء -

« انما اموالكم واولادكم فتنة والله عنده اجر عظيم)

١٥ - التكاثر -

(لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك

اصحاب النار هم فيها خالدون) ١١٦ - آل عمران -

(أيحسبون ان ما نهدمهم به من مال وبنيين نساوع لهم في

الخيرات بل لا يشعرون) ٥٥ - المؤمنون -

(فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها

في الحياة الدنيا) ٥٥ - التوبة -

(اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم

وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته)

٢٠ - الحديد -

والامثلة على هذا التقديم كثيرة .

والسر ان المال عند أكثر الناس اعز من الولد ٠٠

ثم الدقة والحفاء واللفظ في الاعراب . انظر الى هذه الآية ..

(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)

٩ - الحجرات

مرة عوملت الطائفتان على انهما جمع (اقتتلوا) ومرة على انها مثنى (فأصلحوا بينهما) والسر لطيف .. فالطائفتان في القتال تلتحمان وتصبحان (جمعاً) من الأذرع المتضاربة .. بينما في الصلح تنفصلان الي (اثنين) .. وترسل كل واحدة عنها مندوباً ومن هنا قال :

(وان طائفتان من المؤمنين «اقتتلوا» فأصلحوا «بينهما»)

حتى حروف الجر والوصل والمطف تأتي وتمتنع في القرآن لاسباب عميقة وبحساب دقيق محكم .. مثلاً تأتي كلمة « يسألونك » في أماكن عديدة من القرآن :

(يسألونك ماذا ينفقون قل العفو) ٢١٩ - البقرة

(يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) ٨٥ - الاسراء

(يسألونك عن الاهللة قل هي موافيت للناس والحج)

١٨٩ - البقرة

دائماً الجواب بكلمة «قل» .. ولكنها حين تأتي عن

الجبال :

(يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) ١٠٥ - طه

هنا لأول مرة جاءت « فقل » بدلا من « قل » .

والسبب ان كل الاستئلة السابقة كانت قد سئلت بالفعل ، أما سؤال الجبال فلم يكن قد سئل بعد لانه من أسرار القيامة ، وكانما يقول الله ، فإذا سألوك عن الجبال « فقل » .. فجاءت الفاء زائدة لسبب محسوب .

أما في الآية

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي)

١٨٦ - البقرة

هنا لا ترد كلمة قل لان السؤال عن ذات الله .. والله

أول بالاجابة عن نفسه .

كذلك الضمير انا ونحن .
يتكلم الله بضمير الجمع حينما كان التعبير عن «فعل» النهي
مشترك فيه مجموع الصفات الالهية كالخلق وانزال القرآن
وحفظه . .

انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون ٩ - الحجر
(نحن خلقناكم فلولا تصدقون) ٦٧ - الواقعة
(انا انزلناه في ليلة القدر ١ - القدر
(افرأيتم ما تمنون ، انتم تخلقونه ام نحن الخالقون)
٥٩ - الواقعة
(نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم
تبديلا) ٢٨ - الانسان

« ونحن » هنا تعبر عن جمعية الصفات الالهية وهى تعمل
فى ابداع عظيم مثل عملية الخلق .
اما اذا جاءت الآية فى مقام مخاطبة بين الله وعبده كما فى
موقف المكالمة مع موسى . . تأتى الآية بضمير المفرد .
(اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة للذكرى)
١٤ - طه

الله يقول « انا » لان الحضرة هنا حضرة ذات ، وتنبئها منه
سبحانه على مسألة التوحيد والوحدانية فى العبادة .
ونجد مثل هذه الدقة الشديدة فى آيتين متشابهتين عن
الصبر نفتقر الواحدة عن الاخرى فى حرف اللام .
يقول لقمان لولده :

(واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور) ١٧ - لقمان
وفى آية اخرى عن الصبر نقرا :
(ولئن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور) ٤٣ - الشورى
الصبر فى الاولى « من عزم الامور » وفى الثانية « لمن عزم
الامور » . . وسر التوكيد باللام فى الثانية انه صبر مضاعف
لانه صبر على عدوان بشرى لك فيه غريم وانت مطالب فيه
بالصبر والمغفرة وهو امر اشد على النفس من الصبر على القضاء
الالهى الذى لا حيلة فيه .

ونفس هذه الملاحظة عن « اللام » نجدها مرة أخرى فى آيتين
عن انزال المطر وانبات الزرع :

(أفرايتم الماء الذى تشربون أنتم أنزلتموه من المزن أم
نحن المنزّلون لو نشاء جعلناه أجاجا «أى مالعا») ٦٩ - الواقعة
وفى آية ثانية :

(أفرايتم ماتحروثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ، لو
نشاء جعلناه حطاما) ٦٥ الواقعة

فى الآيّة الاولى « جعلناه » أجاجا ٠٠ وفى الآيّة الثانية
« جعلناه » حطاما واللام جاءت فى الثانية ضرورة التوكيد لان
هناك من سوف يدعى بأنه يستطيع ان يتلف الزرع كما يتلفه
الخالف ويجعله حطاما ٠٠ بينما لن يستطيع أحد من البشر ان
يدعى ان فى إمكانه ان ينزل من سحب السماء مطرا مالحا
فلا حاجة الى توكيد باللام ٠٠

ونفس هذه الدقة نجدها فى وصف ابراهيم لربه فى
القرآن بأنه :

(الذى يمتنى ثم يعين) ٨١ الشعراء

(والذى هو يطعمنى ويسقئ) ٧٩ - الشعراء

فجاء بكلمة « هو » حينما تكلم عن « الاطعام » ليؤكد الفعل
الالهى لانه سوف يدعى الكل انهم يطعمونه ويسقونه ٠٠
بينما لن يدعى أحد بأنه يمتته ويحييه كما يمتته الله ويحييه .
ونجد هذه الدقة أيضا حينما يخاطب القرآن المسلمين
قائلا :

(اذكرونى اذكركم) ١٥٢ - البقرة

ويخاطب اليهود قائلا :

(اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم) ٤٠ - البقرة

فاليهود مادبون لا يذكرون الله الا فى النعمة والفائدة
والمصلحة ، والمسلمون أكثر شغافية ويفهمون معنى ان يذكر
الله لذاته لالمصلحة ٠٠ وبنفس المعنى يقول الله للخاصة من
أولى الالباب :

(اتقونى يا أولى الالباب) ١٩٧ - البقرة

ويقول للعوام :

(اتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) ٢٤ البقرة
لان العوام لا يردعهم الا النار أما الخاصة فهم يعلمون أن الله
أقوى من كل نار وانه يستطيع ان يجعل النار بردا وسلاما ان
شاء .

ونجد مثل هذه الدقة البالغة في اختيار اللفظ في كلام
ابليس حينما اقسم على ربه قائلا :

(فبعتك لاغوينهم اجمعين) ٨٢ - ص

اقسم ابليس بالعزة الالهية ولم يقسم بغيرها فاثبت بذلك
علمه وذكاءه لان هذه العزة الالهية هي التي اقتضت استغناء
الله عن خلقه . فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . . ولن
يضروا الله شيئا فهو العزيز عن خلقه ، الغنى عن العالمين .
ويقول الله في حديثه القدسي :

« هؤلاء في النار ولا أبالي وهؤلاء في الجنة ولا أبالي » .
وهذا مقتضى العزة الالهية . .

وهي الثغرة الوحيدة التي يدخل منها ابليس . . فهو بها
يستطيع ان يضل ويوسوس لان الله لن يفهر احدا اختار الكفر
على الايمان . . ولهذا قال « فبعتك » لاغوينهم اجمعين .

(لا قلعدن لهم صراطك المستقيم ولا تينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم) ١٦ - الاعراف

ذكر الجهات الاربع ولم يذكر من فوقهم ولا من تحتهم . .
لان « فوق » الربوبية ، « وتحت » ، تواضع العبودية . . ومن
لزم مكانه الادنى من ربه الاعلى . . لم يستطع الشيطان ان
يدخل عليه .

ثم ذكر ابليس ان مقعده المفضل للاغواء سوف يكون الصراط
المستقيم . . على طريق الخير وعلى سجادة الصلاة لان تارك
الصلاة والسكرير والعريبيد ليس في حاجة الى ابليس ليضله
فقد تكفلت نفسه باضلاله . . انه انسان خرب ، وابليس
لص ذكي لا يحب ان يضيع وقته بأن يحوم حول البيوت
الحربة .

مثل آخر من أمثلة الدقة القرآنية نجده في سبق المغفرة على العذاب والرحمة على الغضب في القرآن ٠٠ فالله في الفاتحة هو الرحمن الرحيم قبل أن يكون مالك يوم الدين ٠٠ وهو دائما يوصف بأنه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ٠ تأتي المغفرة أولا قبل العذاب الا في مكانين في آية قطع اليد :

(يعذب من يشاء ويفغر لمن يشاء) ٤٠ - المائدة

لان العقوبة بقطع اليد عذاب دنيوى ٠٠ تليه مغفرة أخروية ٠٠ وفى كلام عيسى يوم القيامة عن المشركين الذين عبدوه من دون الله ٠٠ فيقول لربه :

(ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز

الحكيم) ١١٨ - المائدة

فلا يقول فانك انت الغفور الرحيم تأدبا ٠٠ ويذكر لهم العذاب قبل المغفرة ٠٠ لعظم الاثم الذى وقعوا فيه ٠

ونجد هذه الدقة القرآنية مرة أخرى في تناول القرآن للزمن ٠٠ فالمستقبل يأتى ذكره على لسان الخالق على أنه ماض ٠٠ فاحداث يوم القيامة ترد كلها على أنها ماض ٠

(ونفخ فى الصور) ٩٩ - الكهف

(وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) ١٦ - الحاقة

(وبرزت الجحيم للغاوين) ٩١ - الشعراء

(وعرضوا على ربك صفًا) ٤٨ - الكهف

والسر في ذلك ان كل الاحداث حاضرها ومستقبلها قد حدثت في علم الله وليس عند الله زمن يحجب عنه المستقبل فهو سبحانه فوق الزمان والمكان ولهذا نقرأ العبارة القرآنية احيانا فنجد انها تتحدث عن زمانين مختلفين وتبدو فى ظاهرها متناقضة مثل :

(اتى امر الله فلا تستعجلوه) ١ - النحل

فالامر قد اتى وحدث فى الماضى ٠ لكن الله يخاطب الناس بان لا يستعجلوه كما لو كان مستقبلا لم يحدث بعد ٠٠ والسر كما شرحنا انه حدث فى علم الله لكنه لم يحدث بعد فى علم الناس ولا تناقض ٠٠ وانما دقة واحكام وخفاء واستسرار

• وصدق في المعانى العميقة •

هذه بعض الامثلة للدقة البالغة والنحت المحكم فى بناء
العبارة القرآنية وفى اختيار الالفاظ واستخدام الحروف لزيادة
ولا نقص ولا تقديم ولا تأخير الا بحساب وميزان ولا نعرف
لذلك مثيلا فى تأليف أو كتاب مؤلف ولانجده الا فى القرآن •

أما لمحات العلم فى القرآن وعجائب الآيات الكونية التى أتت
بالاسرار والحفايا التى لم تكتشف الا فى عصرنا ، والتى لم
يعرفها محمد عليه الصلاة والسلام ولا عصره فهى موضوع آخر
يطول ، وله جلسة اخرى •



● القرآن لا يمكن أن يكون مؤلفاً

قلت لصديقي :

ربما كان حديث اليوم عن لمحات العلم في القرآن أكثر إثارة لعلمك العلمي من جلستنا السابقة .. فما كآل الفلك الحديث ولا علوم الذرة ولا علوم البيولوجيا والتشريح معروفة حينما نزلت الآيات الكونية في القرآن منذ أكثر من ألف وثلاثمائة سنة لتتكلم عن السموات والارض والنجوم والكواكب وخلق الجنين وتكوين الانسان بما يتفق مع أحدث العلوم التي جاء بها عصرنا .

ولم يتعرض القرآن لهذه الموضوعات بتفصيل الكتاب العلمي المتخصص لانه جاء في المقام الاول كتاب عقيدة ومنهج وتشريع .. ولو انه تعرض لتلك الموضوعات بتفصيل ووضوح لصدم العرب بما لا يفهمونه .. ولهذا لجأ الى أسلوب الاشارة واللمحة والومضة لتفسرها علوم المستقبل وكشوفه بعد ذلك بمئات السنين .. وتظهر للناس جيلا بعد جيل كآبات

ومعجزات على صدق نزول القرآن من الله الحق .
(سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) ٥٣ - فصلت
لانهم لم يكتفوا بشهادة الله على كتابه . . فأصبح من الضروري أن نريهم ذلك بالآيات الكاشفة .
هكذا يقول الله في كتابه .

ومازال القرآن يكشف لنا يوماً بعد يوم مزيداً من تلك الآيات العجيبة .

حول كروية الأرض جاءت هذه الآيات الصريحة التي تستخدم لفظ التكوير لتصف انزلاق الليل والنهار كنصفى كرة .

(يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) ٥ - الزمر

ثم الآية التي تصف دحو الأرض .

(والأرض بعد ذلك دحاًها) ٣٠ - النازعات

ودحاً هي الكلمة الوحيدة في القاموس التي تعنى البسط والتكوير معا . . والأرض كما هو معلوم مبسوطة في الظاهر ومكورة في الحقيقة بل هي أشبه بالدحينة « البيضة » في تكويرها .

ثم نقرأ إشارة أخرى صريحة عن أن الجبال تسبح في الفضاء وبالتالي فالأرض كلها تسبح بجبالها حيث هي والجبال كتلة واحدة .

(وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب)

صنع الله الذي أتقن كل شيء) ٨٨ - النمل

فالجبال التي تبدو جامدة ساكنة هي في الواقع سايحة في الفضاء . . وتشبيه الجبال بالسحب فيه لمحة أخرى عن التكوير الهسه للمادة . . التي نعرف الآن أنها مؤلفة من ذرات كما أن السحب مؤلفة من قطرات .

ثم الكلام عن تواقف الليل والنهار دون أن يسبق أحدهما الآخر من مبدأ الخلق إلى نهايته .

(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق

النهار) ٤٠ - يس

اشارة أخرى الى كروية الارض . . . حيث بدأ الليل والنهار
معا وفي وقت واحد منذ بدء الخليقة كنعصى ككرة ولو كانت
الارض مسطحة لتعاقب النهار والليل الواحد بعد الآخر
بالضرورة .

ثم تأتي القيامة والارض في ليل ونهار في وقت واحد كما
كانت يوم البدء .

(حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم
قادرون عليها اتاهم امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان
لم تغن بالامس) ٢٤ - يونس

وفي قوله ليلا أو نهارا . . . تأكيد لهذا التوافق الذي لا تفسير
له الا أن نصف الارض محجوب عن الشمس ومظلم والآخر
مواجه للشمس ومضيء بحكم كونها كروية ولو كانت مسطحة
لكان لها في كل وقت وجه واحد ولما صح ان نقول :

(ولا الليل سابق النهار) ٤٠ - يس

ثم تعدد المشارق والمغارب في القرآن فالله يوصف بأنه :

(رب المشارق والمغارب) ٤٠ - المعارج

(و رب المشرقين ورب المغربين) ١٧ - الرحمن

ولو كانت الارض مسطحة لكان هناك مشرق واحد ومغرب

واحد .

يقول الانسان لشيطانة يوم القيامة :

(ياليت بيني وبينك بعد المشرقين) ٣٨ - الاعراف

ولا تكون المسافة على الارض ابعد ما تكون بين مشرقين الا اذا

كانت الارض كروية .

ثم الكلام عن السماء بأن فيها مسارات ومجالات وطرقا :

(والسماء ذات الحجب) ٧ - الداريات .

والحجب هي المسارات .

(والسماء ذات الرجوع) ١١ - الطارق .

أي أنها ترجع كل ما يرتفع فيها الى الارض . . . ترجع بخار

الماء مطرا . . . وترجع الاجسام بالجاذبية الارضية . . . وترجع

الامواج اللاسلكية بانعكاسها من طبقة الايونوسفير . . . كما

ترجع الأشعة الحرارية تحت الحمراء معكوسة الى الأرض بنفس الطريقة فتدفعها في الليل .

وكما تمكس السماء مايتقذف اليها من الأرض كذلك تمتص وتمكس وتشعرت مايتقذف اليها من العالم الخارجي وبذلك تحمي الأرض من قذائف الأشعة الكونية المميتة والأشعة فوق البنفسجية القاتلة . . . فهي تنصرف كأنها سقف .

(وجعلنا السماء سقفا محفوظا) ٣٢ - الانبياء

(والسماء بئيناها بايد وانا لموسعون) ٤٧ - الذاريات

وهو مايعرف الآن باسم تمدد الكون المضطرد . وكان مثقال الذرة يعرف في تلك الايام بأنه أصغر مثقال وكانت الذرة توصف بأنها جوهر فرد لا ينقسم . . . فجاء القرآن ليقول بمثاقيل أصغر تنقسم اليها الذرة . . . وكان أول كتاب يذكر شيئا أصغر من الذرة .

(لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) ٣ - سبأ

كل هذه لمحات كاشفة قاطعة عن حقائق مذهلة مثل كروية الأرض وطبيعة السماء والذرة وهي حقائق لم تكن تخطر على بال عاقل أو مجنون في هذا العصر البائد الذي نزل فيه القرآن .

ثم بصيرة القرآن في تكوين الانسان وكلامه عن النطفة المنوية وانفرادها بتحديد جنس المولود .

(والذي خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمهى)

٤٥ - النجم

وهي حقيقة بيولوجية لم تعرف الا هذا الزمان . . . ونحن نقول الآن ان رأس الحيوان المنوى هو وحده الذي يحتوى على عوامل تحديد الجنس Sex Determination Factor

وتسوية البنان بما فيه من رسوم البصمات التي أوردتها الله في مجال التحدى عن البعث والتجسيد .

(ايحسب الانسان ان لن نجعم عظامه بل قادين على ان

نسوي بنانه) ٣ - ٤ - القيامة

بل سوف نجسد حتى ذلك البنان ونسويه كما كان . . .

وفي ذلك لفتة الى الاعجاز الملحوظ في تسوية البنان بحيث لا يتشابه فيه اثنان .

وأوهن البيوت في القرآن هو بيت العنكبوت . . لم يقل الله خيط العنكبوت بل قال بيت العنكبوت . . وخيط العنكبوت كما هو معلوم أقوى من مثيله من الصلب أربع مرات . . انما الوهن في البيت لا في الخيط . . حيث يكون البيت أسوا ملجأ لمن يجتمى فيه فهو مصيدة لمن يقع فيه من الزوار الغرباء . . وهو مقتل حتى لأهله فالعنكبوت الأثني تأكل زوجها بعد التلقيح . . وتأكل أولادها عند الفقس والاولاد يأكل بعضهم بعضا .

ان بيت العنكبوت هو ابلغ مثال يضرب عن سوء الملجأ وسوء المصير .

وهكذا حال من يلجأ لغير الله . . وهنا بلاغة الآية :
(مثل الذين اتغلوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) ٤١ - العنكبوت

وجاءت خاتمة الآية عبارة . . « لو كانوا يعلمون » . . اشارة الى انه علم ان يظهر الا متأخرا . . ومعلوم أن هذه الاسرار البيولوجية لم تظهر الا متأخرة .
كذلك نجد في سورة الكهف :

(ولبثوا في كهلهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)
٢٥ - الكهف

ونعرف الآن ان ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسي تساوي ثلاثمائة وتسعا بالتقويم القمري باليوم والدقيقة والثانية .
وفي سورة مريم يحكى الله تبارك وتعالى عن مريم وكيف جاءها المخاض فأوت الى جذع النخلة وهي تتمنى الموت فنأداها المتأدى ان تهز بجذع النخلة وتأكل ما يتساقط من رطب جنى .
(فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فنأداها من تحتها الا تحزنى قد جعل

ربك تحتك سرىا وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا
جنيا فكلى واشربى وقرى عينا) ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ مريم
ولماذا الرطب !!

ان أحدث بحث علمى عن الرطب يقول ان فيه مادة قابضة
للرحم تساعد على الولادة وتساعد على منع النزيف بعد الولادة
مثل مادة Oxytocin وان فيه مادة ملينة ٠٠ ومعلوم طبيا ان
المليينات النباتية تفيد فى تسهيل وتأمين عملية الولادة بتنظيفها
للقولون .

ان الحكمة العلمية لوصف الرطب وتوقيت تناول الرطب مع
مخاض الولادة فيه دقة علمية واضحة .
هذه الامثلة من الصدق العلمى والصدق المجازى والصدق
الحرفى هو ما أشار اليه الله سبحانه واصفا القرآن بأنه :
(لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) ٤٢ - فصلت
وبأنه :

(لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)
٨٢ - النساء

اختلافا بين الآيات وبين بعضها بمعنى تناقضها ٠٠ واختلافا
عن الحقائق الثابتة التى سوف تكشفها العلوم ٠٠ وكلا
الاختلافين نجده دائما فى الكتب المؤلفة ٠٠ ولهذا يحرص
المؤلف على ان يضيف أو يحذف أو يعدل كلما أصدر طبعة
جديدة من كتبه ٠٠ ونرى النظريات تتلو بعضها البعض مكذبة
بعضها البعض ٠٠ ونرى المؤلف مهما راعى الدقة يقع فى
التناقض ٠٠ وهى عيوب لانجدها فى القرآن .
وهو بعد ذلك معجزة لانه يخبرك عن ماض لم يؤرخ ويتنبأ
بمستقبل لم يأت .

وقد صدقت نبوءات القرآن المتعددة .

عن انتصار الروم بعد هزيمتهم .

(غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيفلقون
فى بضع سنين) ٢ - ٣ - ٤ - الروم

و « بضع » فى اللغة هى ما بين ثلاث وتسع ٠٠ وقد جاء
انتصار الروم بعد سبع سنين .
وعن انتصار بدر :

(سيهزم الجمع ويولون الدبر) ٤٥ - القمر
وعن رؤيا دخول مكة :

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ٠٠ لتدخلن المسجد
الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين)
٢٧ - الفتح

وقد كان .

وما زالت فى القرآن نبوءات نراها تتحقق أمام أعيننا ٠٠
فهذا ابراهيم يدعو ربه :

(ربنا انى أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك
المحرم ٠٠ ربنا ليقموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى
اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ٢٧ - ابراهيم
لقد دعا بالرزق لهذا الوادى الجديد .

ثم جاء وعد الله لاهل مكة بالرخاء والغنى حينما أمرهم بمنع
المشركين من زيارة البيت فخافوا البوار الاقتصادى والكساد ،
« وكان أهل مكة يعتمدون فى رواجهم على حج البيت » ٠٠ فقال
ليطمئنهم :

(وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله)

٢٨ - التوبة

وهو وعد نراه الآن يتحقق أمامنا فى البترول الذى يتدفق
من الصحراء بلا حساب وترتفع اسعاره فى جنون يوماً بعد
يوم ٠٠ ثم فى كنوز اليورانيوم التى تخفيها تلك الصحارى
بما يضمن لها الرخاء الى نهاية الزمان .

ثم نرى القرآن يحدثنا عن الغيب المطلسم من اسرار الجن
والملائكة مما لم يكشف الا لقلّة من المخصوصين من أهل
التصوف ٠٠ فاذا رأى هؤلاء فهم لا يرون الا ما يوافق كلمة
القرآن واذا طالعوا لا يطلعون الا ما يطابق أسراره .

ثم هو يقدم لنا الكلمة الاخيرة فى السياسة والاخلاق ونظم الحكم والحرب والسلم والاقتصاد وبه المجتمع والزواج والمعاشره ، ويشرع لنا من محكم الشرائع ما يسبق به ميثاق حقوق الانسان كل ذلك فى اسلوب منفرد وعبارة شامخة وبتيان جمالى وبلاغى هو نسيج وحده فى تاريخ اللغة .

سالوا ابن عربى عن سر اعجاز القرآن فاجاب بكلمة واحدة هى : « الصديق المطلق » فكلمات القرآن صادقة صدقا مطلقا ، بينما اقضى ما يستطيعه مؤلف هو ان يصل الى صديق نسبى واقصى ما يطمح فيه كاتب هو ان يكون صادقا حسب رؤيته . . . ومساحة الرؤية دائما محدودة ومتغيرة من عصر الى عصر . . . كل واحد منا يحيط بجانب من الحقيقة وتفوته جوانب ، ينظر من زاوية وتفوته زوايا . . . وما يصل اليه من صديق دائما صديق نسبى . . . اما صاحب العلم المحيط والبصر الشامل فهو الله وحده . . . وهو وحده القادر على الصديق المطلق . . . ولهذا نقول على القرآن أنه من عند الله لانه اصاب الصديق المطلق فى كل شىء .

سالوا محمدا عليه الصلاة والسلام عن القرآن فقال :
« فيه نيا ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم وهو الفصل ليسن بالهزل وهو الذكر الحكيم وهو حبل الله المتين .
وهو الصراط المستقيم . من تركه من جبار قضمه الله .
ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو الذى لا تلتبس به الالسن . ولا تزيع به العقول . ولا يخلق على كثرة الرد .
ولا يشبع منه العلماء . ولا تنفضى عجائبه » .
وهذا هو كتابنا يا صديقى .
ولهذه الصفات مجتمعة لا يمكن ان يكون مؤلفا .

● شكوك

قال صاحبي :

— تقول ان القرآن لا يتناقض مع نفسه فما بالك بهذه الآية
(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ٢٩ — الكهف
والآية الاخرى التي تنقضها :

(وما تشاؤون الا ان يشاء الله) ٣٠ — الانسان
ثم نجد القرآن يقول عن حساب المذنبين انهم سوف
يسألون :

(ستكتب شهادتهم ويسألون) ١٩ — الزخرف
(وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) ٤٤ — الزخرف
ومرة اخرى يقول :

(ولايسال عن ذنوبهم المجرمون) ٧٨ — القصص
وانهم سوف يعرفون بسماهم .

(فيؤخذ بالنواصي والاقلام) ٤١ — الرحمن

ومرة يقول انه لا احد سوف يشهد وثاق المجرم

(ولا يوثق وثاقه احد) ٢٦ — الفجر

بمعنى ان كل واحد سوف يتكفل بتعذيب نفسه .

(كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ١٤ - الاسراء

ومرة يقول :

(ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) ٣٢ -
الحاقة

قلت له :

— هذه ليست تناقضات .. ولنفكر فيها معا ، فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر .. آية صريحة تشير الى حرية العبد
واختياره .. ولكن هذه الحرية لم نأخذها من الله غضبا
وغلابا .. وانما أعطاها لنا الله بمشيئته . فتأتى الآية الثانية
لتشرح ذلك فتقول :

(وما تشاؤون الا ان يشاء الله)

أى ان حرية العبد ضمن مشيئة الرب وليست ضدها ..
أى ان حرية العبد يمكن ان تناقض الرضا الالهى فتختار المعصية
ولكنها لا يمكن ان تناقض المشيئة .. فهى تظل دائما ضمن
المشيئة ولو خالفت الرضا .. وهى نقطة دقيقة شرحناها فى
موضوع المخير والمسير .. وقلنا ان التسيير الالهى هو عين
التخيير لان الله يختار للعبد من جنس نيته وقلبه ، ومعنى ذلك
انه يريد للعبد نفس ما اراد العبد لنفسه بنيته واختيار
قلبه .. أى ان العبد مبسّر الى ما اختار .. ومعنى ذلك انه
لا اكراه وأنه لائتائية ولا تناقض .. وان التسيير هو عين
التخيير .. وهى مسألة من أدق المسائل فى فهم لغز المخير
والمسير .. وما تسميه أنت تناقضا هو فى الحقيقة جلاء ذلك
السر .

أما الآيات الواردة عن الحساب فان كل آية تعنى طائفة
مختلفة فهناك من سوف يسأل وتطلب شهادته وهناك من
ستكون ذنوبه من الكثرة بحيث تطفح على وجهه وهؤلاء هم
الذين سوف يعرفون بسيماهم فيؤخذوا بالنواصي والاقدام ،
وهناك المعاند المنكر الذى سوف تشهد عليه يدها ورجلاه .

(اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم

بما كانوا يكسبون) ٦٥ - يس

وهناك من سيكون حسيبا على نفسه يعذبها بالندم ويشهد
وثاقها بالحسرة . . وهو الذى لا يوثق وثاقه أحد .
وهناك أكابر المجرمين الجبارين الذين سوف يكذبون على
الله وهم يواجهونه ويحلفون الكذب وهم فى الموقف العظيم .

(يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم
ويحسبون أنهم على شىء الا انهم هم الكاذبون) ١٨ - المجادلة
وهؤلاء هم الذين سوف يسحبون على وجوههم ويوتقون
فى السلاسل .
وأبو حامد الغزالي يفسر هذه السلاسل بأنها سلاسل
الاسباب .

- وما رأيك فى كلام القرآن عن العلم الالهى .
(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى
الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس باى
ارض تموت) ٣٤ - لقمان
يقول القرآن أن الله اختص نفسه بهذا العلم لا يعلمه
غيره .

(وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو) ٥٩ - الانعام

فما بالك الآن بالطبيب الذى يستطيع ان يعلم ما بالارحام
ويستطيع ان يتنبأ أن كان ذكرا أم أنثى . . وما بالك بالعلماء
الذين انزلوا المطر الصناعى بالاساليب الكيماوية .

- لم يتكلم القرآن عن انزال المطر وانما عن انزال الغيث
وهو المطر الغزير الكثيف الذى ينزل بكميات تكفى لتغيير مصير
أمة واغائها ونقلها من حال الجذب الى حال الخصب والرخاء . .
والمطر بهذه الكميات لا يمكن انزاله بتجربة .

أما علم الله لما فى الارحام فهو علم كلى محيط وليس فقط
علما بجنس المولود هل هو ذكر أم أنثى وانما علم بمن يكون
ذلك المولود وما شأنه وماذا سيفعل فى الدنيا وما تاريخه من
يوم يولد الى يوم يموت . . وهو أمر لا يستطيع أن يعلمه طبيب .

- وما حكاية كرسى الله الذى تقولون انه وسع السماوات
والارض .. وعرش الله الذى يحمله ثمانية .
- ان عقلك يسع السماوات والارض وانت البشر الذى
لا تفكر .. فكيف لا يسمعها كرسى الله .. والارض والشمس
والكواكب والنجوم والمجرات محمولة بقوة الله فى الفضاء ..
فكيف تعجب لحمل عرش .

- وما هو الكرسى وما العرش .
- قل لى ما الالكثرون أقل لك ما الكرسى .. قل لى ما
الكهرباء .. قل لى ما الجاذبية .. قل لى ما الزمان .. انك
لا تعرف ماهية أى شىء لتسألنى ما الكرسى وما العرش .. ان
العالم ملىء بالأسرار وهذه بعض أسراره .
- والنملة التى تكلمت فى القرآن وحذرت بقية النمل من
قيدوم سليمان وجيشه .

(قالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لايحطمنكم
سليمان وجنوده) ١٨ - النمل

- لو قرأت القليل عى علم الحشرات الآن لما سألت هذا
السؤال .. ان علم الحشرات حافل بدراسات مستفيضة عن
لغة النمل ولغة النحل .

ولغة النمل الآن حقيقة مؤكدة .. فما كان من الممكن ان
تتوزع الوظائف فى خلية من مئات الالوف ويتم التنظيم وتنقل
الوامر والتعليمات بين هذا الحشد الحاشد لولا أن هناك لغة
للتفاهم ولا محل للعجب فى أن نملة عرفت سليمان .. ألم
يعرف الانسان الله .

- وكيف يمحو الله ما يكتب فى لوح قضائه .
(يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)
أى خطىء ربكم كما نخطىء فى الحساب فنمحو ونثبت ..
أم يراجع نفسه كما نراجع أنفسنا .
- الله يمحو السيئة بأن يلهك بالحسنة ويقول فى كتابه :
(ان الحسنات يذهبن السيئات) ١١٤ - هود
ويقول عن عباده الصالحين :

وأوحينا اليهم. فعل الخيرات واقام الصلوة وابتداء الزكاة)

٧٣ - الانبياء

وبذلك يمحو الله دون. ان يمحو وهذا سر الآية ٣٩ سورة
الرعد التي ذكرتها

- وما رأيك في الآية ؟

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٥٦ - الذاريات

هل كان الله في حاجة لعبادتنا ؟!

- بل نحن المحتاجون لعبادته .

هل تعبد المرأة الجميلة خبا بامر تكليف . . أم انك تلتذ
بهذا الحب وتنتشى وتسعد لتذوقك لجمالها . . كذلك الله وهو
الاجمل من كل جميل اذا عرفت جلاله وجماله وقدره عبده
ووجدت في عبادتك له غاية السعادة والنشوة .
ان العبادة عندنا لا تكون الا عن معرفة . . والله لا يعبد
الا بالملم . . ومعرفة الله هي ذروة المعارف كلها ونهاية رحلة
طويلة من المعارف تبدأ منذ الميلاد وأول ما يعرف الطفل عند
ميلاده هو ثدي أمه وتلك أول لذة ثم يتعرف على أمه وأبيه
وعائلته ومجتمعيه وبيئته ثم يبدأ في استغلال هذه البيئة
لمنفعته فإذا هي أمدى أكبر يدبر عليه الثراء والمغانم والملاذات
فهو يخرج من الأرض الذهب والماس ومن البحر اللؤلؤ ومن
الزرع الفواكه والثمار وتلك هي اللذة الثانية في رحلة المعرفة
ثم ينتقل من معرفته لبيئته الأرضية ليخرج الى السماوات
ويضع رجله على القمر ويطلق سفائنه الى المريخ في ملاحه نحو
المجهول ليستمتع بلذة أخرى أكبر هي لذة استطلاع الكون ثم
يرجع ذلك الملاح ليسأل نفسه . . ومن أنا الذي عرفت هذا
كله . . لبدأ رحلة معرفة جديدة الى نفسه بهدف معرفة نفسه
والتحكم في طاقاتها وإدارتها لصالحه وصالح الآخرين وتلك لذة
أخرى . ثم تكون ذروة المعارف بعد معرفة النفس هي معرفة
الرب الذي خلق تلك النفس . وبهذه المعرفة الاخيرة يبلغ
الانسان ذروة السعادات لانه يلتقي بالكامل المتعال الاجمل من
كل جميل . . تلك هي رحلة العابد على طريق العبادة . . وكلها

ورود ومسرات • وإذا كانت في الحياة مشقة •• فلأن قاطف
الورود لا يد أن تدمي يديه الاشـواك •• والطامع في ذرى
اللانهاية لا يد أن يكدح اليها •• ولكن وصول العابد الى معرفة
ربه وانكشاف الظاء عن عينيه •• ما أروعه •• يقول الصوفى
لايس الحرقه •• « نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها
بالسيوف » تلك هي لذة العبادة الحقة •• وهي من نصيب
العابد •• ولكن الله في غنى عنها وعن العالمين •• ونحن
لا نعبده بأمر تكليف ولكننا نعبده لاننا عرفنا جماله وجلاله ••
ونحن لانجد في عبادته ذلا بل تحررا وكرامة •• تحررا من كل
عبوديات الدنيا •• تحررا من الشهوات والغرائز والاطماع
والمال •• ونحن نخاف الله فلا نعود نخاف أحدا بعده ولا نعود
نعبا بأحد •• خوف الله شجاعة •• وعبادته حرية •• والذل
له كرامة •• ومعرفة يقين وتلك هي العبادة •• نحن الذين
نجنى أرباحها ومسراتها •• أما الله فهو الغنى عن كل شيء ••
انما خلقنا الله ليعطينا لاليأخذ منا •• خلقنا ليخلق علينا
من كمالاته فهو السميع البصير وقد أعطانا سمعا وبصرا وهو
العليم الخبير وقد أعطانا العقل لنتزود من علمه والحواس لنتزود
من خبرته وهو يقول لعنده المقرب في الحديث القدسي :

(عيسى اطعنى اجعلك ربانيا تقل للشئ كن فيكون)

ألم يفعل هذا لعيسى عليه السلام •• فكان عيسى يحيى
الموتى بأذنه ويخلق من الطين طيرا بأذنه ويشفى الاعمى
والابصر بأذنه •

العبودية لله اذن هي عكس العبودية في مفهومنا ••
فالعبودية في مفهومنا هي ان يأخذ السيد خير العبد
أما العبودية لله فهي على العكس أن يعطي السيد لعبده مالا
حدود له من النعم ويخلق عليه مالا نهاية من الكمالات ••
فحينما يقول الله :

(ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ٥٦ - الذاريات

فمعناها الباطن ما خلقت الجن والانس الا لاعطيهم وامنهم
حبا وخيرا وكرامة وعزة وأخلع عليهم ثوب التشريف
والخلافة •

فالسيد الرب غنى مستغن عن عبادتنا .. ونحن المحتاجون
الى هذه العبادة والشرف والمواهب والحيرات التي لا حد لها .

قاله الكريم سمح لنا ان ندخل عليه فى أى وقت بلا ميعاد
ونبقى فى حضرته ماشئنا ونسعوه ماوسعنا .. بمجرد ان
نيسط سجادة الصلاة ونقول « الله أكبر » نصبح فى حضرته
نطلب منه ما نشاء .

أين هو الملك الذى نستطيع ان ندخل عليه بلا ميعاد وتلبث
فى حضرته ما نشاء !؟

وفى ذلك يقول مولانا العبد الصالح الشيخ محمد متولى
الشعراوى قى شعر جميل :

حسب نفسى عزا اننى عبد
يحتفنى بى بلا مواعيسد رب
هو فى قدسه الاعز ولكن
أنا ألقى متى وحين أحب

ويقول : أرونى صنعة تعرض على صانعها خمس مرات فى
اليوم « يقصد الصلوات الخمس » وتعرض للتلف !
وهذه بعض المعانى الباطنة فى الآية التى اثار شكوكك :

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) .

ولو تأملتها لما اثارَت فيك الا الدهول والاعجاب .



● موقف الدين من التطور

قال صاحبي :

– موقفك اليوم سيكون صعبا فعليك ان تثبت ان خلق الانسان جاء على طريقة جلا جلا ٠٠ أمسك الخالق قطعة طين ثم عجنها في يده ونفخ فيها فاذا بها آدم ٠٠ وهو كلام تخالفك فيه بشدة علوم التطور التي تقول ان صاحبك آدم جاء نتيجة سلسلة من الاطوار الحيوانية السابقة وأنه ليس مقطوع الصلة بأفراد عائلته من الحيوانات وأنه والقرود أولاد عمومة يلتقون معا فني سابع جد ٠٠ وان التشابه الاكيد في تفاصيل البنية التشريحية للجميع يدل على أنهم جميعا أفراد أسرة واحدة .

قلت وأنا أستعد لمحنة علمية ذسمة :

– دعني أصحح معلوماتك أولا فأقول لك ان الله لم يخلق آدم على طريقة جلا جلا ٠٠ ها هنا قطعة طين ننفخ فيها فتكون آدم ٠٠ فالقرآن يروي قصة مختلفة تماما عن خلق آدم قصة يتم فيها الخلق على مراحل وأطوار وزمن الهى مديد والقرآن يقول ان الانسان لم يخرج من الطين مباشرة وانما خرج من سلالة جاءت من الطين .

(ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين) ١٢ - المؤمنون
وان الانسان في البدء لم يكن شيئا يذكر :
(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)
٢١ - الانسان

وان خلقه جاء على اطوار :
(مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا)
(ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا الا ابليس) ١١ - الأعراف
(واذا قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا
سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)
٧١ - ٧٢ - ص

معنى ذلك أن هناك مراحل بدأت بالخلق ثم التصوير ٠٠ ثم
التسوية ثم النفخ ٠٠ « وثم » بالزمن الالهي معناها ملايين
السنين .

(ان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون) ٤٧ - الحج
انظر الى هذه المراحل الزمنية للخلق في سورة السجدة ٠٠
يقول الله سبحانه انه :

(بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من
ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع
والابصار والافئدة) ٧ - ٨ - ٩ - السجدة
في البدء كان الطين ثم جاءت سلاله من ماء مهين هي البدايات
الاولى للانسان التي لم تكن شيئا مذكورا ثم التسوية والتصوير
ثم نفخ الروح التي بها أصبح للانسان سمع وبصر وفؤاد ٠٠
وأصبح آدم ٠٠ فآدم اذن نهاية سلسله من الاطوار وليس
بداية مطلقا على طريقة جلا جلا .

(والله انبتكم من الارض نباتا) ١٧ - نوح
هنا عملية انبات بكل ما في الانبات من اطوار ومراحل
وزمن .
ولكن اللفز الحقيقي هو ٠٠ ماذا كانت تلك المراحل بالضبط
وماذا كانت تلك الاطوار .

هل كل شجرة الحياة من أب واحد .
هى كلها من الطين بحكم التركيب الكيميائى . . وكلها
تنتهى بالموت الى أصلها الترابى . . هذه حقيقة .
ولكننا نقصد من كلمة أب شيئا أكثر من الاصل الطينى .
السؤال هو هل تولدت من الطين خلية أولى تعددت وأنجبت
كل تلك الانواع والفصائل النباتية والحيوانية بما فى ذلك
الانسان .

أم أنه كانت هناك بدايات متعددة . . بداية تطورت الى
نباتات وبداية تطورت الى فرع من فروع الحيوان كالاسفنج
مثلا وبداية أخرى خرج منها فرع آخر كالاسماك وبداية خرجت
منها الزواحف وبداية خرجت منها الطيور وبداية خرجت منها
الثدييات وبداية خرج منها الانسان وبذلك يكون للانسان جد
منفصل ويكون لكل نوع جد خاص به .

ان التشابه التشريحي للفروع والانواع والفصائل لا ينفى
خروج كل نوع من بداية خاصة وانما يدل هذا التشابه
التشريحي فى الجميع على وحدة الخالق وأن صانعا جميعا واحد
لانه خلقها جميعا من خامة واحدة وبأسلوب واحد وبخطة واحدة
هذه هى النتيجة الحتمية . . ولكن خروجها كلها من أب واحد
ليس نتيجة محتمة لتشابهها التشريحي . . فوسائل المواصلات
تتشابه فيما بينها العربة والقطار والترام والديزل كلها تقوم
على أسس هندسية وتركيبية متشابهة دالة بذلك على أنها
جميعا من اختراع العقل البشرى . . ولكن هذا لا يمنع أن كل
صنف منها جاء من أب مستقل ومن فكرة هندسية مستقلة .
كما اننا لا يصح أن نقول ان عربة اليد تطورت تلقائيا
بحكم القوانين الباطنة فيها الى عربة حنطور ثم الى عربة فورد
ثم الى قطار ثم الى ديزل . . فالواقع غير ذلك . . وهو أن كل
طور من هذه الاطوار جاء بطفرة ذهنية فى عقل المخترع وقفزة
ابداع فى عقل المهندس . . لم يخرج نوع من آخر مع أن
الترتيب الزمنى قد يؤيد فكرة خروج نوع من نوع . . ولكن
ما حدث كان غير ذلك فكل نوع جاء بطفرة ابداعية من العقل
المخترع وبدأ مستقلا .

وهذه هي أخطاء داروين والمطبات والثغرات التي وقع فيها حينما صاغ نظريته .

ودعنا نتذكر معا ما قال داروين في كتابه «أصل الأنواع» :

كان أول ما اكتشفه داروين أثناء رحلته بالسفينة بيجل هي الحطة التشريحية الواحدة التي بنيت عليها كل القسائل الحيوانية . . فالهيكل العظمي واحد في أغلب الحيوانات الفقرية الذراع في القرد هو نفس الجناح في الطائر هو نفس الجناح في الحفاش كل عظمة هنا تقابلها عظمة تناظرها هناك مع تحورات طفيفة لتلائم الوظيفة فالعظام في الطيور رقيقة وخفيفة ومجووفة وهي مغطاة بالريش . . ثم نجد رقبة الزرافة الطويلة بها سبع فقرات ورقبة الانسان سبع فقرات ورقبة القنفذ التي لا تذكر من فرط قصرها هي الاخرى سبع فقرات وهناك خمس أصابع في يد الانسان ونجد نفس التخمس في أصابع القرد والارنب والصفدة والسحلية . . وفترة الحمل في الحوت والقرد والانسان تسعة أشهر وفترة الارضاع في الجميع سنتان وفقرات الذيل في القرد نجدها في الانسان متدامجة ملتصقة فيما يسمى بالمعصص ونجد عضلات الذيل قد تحولت في الانسان الى قاع متين للحوض . . ثم نجد القلب بغرفة الارباع في الحصان والحمار والارنب والحمامة والانسان ونفس الحطة في تفرع الشرايين والاوردة . . ثم نجد نفس الحطة في الجهاز الهضمي ، البلعوم ثم المعدة ثم الاثنا عشر ثم الامعاء الدقيقة ثم الامعاء الغليظة ثم الشرج والجهاز التناسلي نفس الحصى والمبيض وقنوات الحصى وقنوات المبيض وكذلك الجهاز البولي نفس الكلية والحالب وحوصلة البول . . والجهاز التنفسي . . القصبة الهوائية والرئتين . ونجد أن الرئة في البرمائيات هي نفس كيس العوم في السمكة .

كان طبيعيا بعد هذا أن يتصور داروين أن الحيوانات كلها أفراد أسرة واحدة تفرقت بهم البيئات فتكيفت كل فصيلة مع بيئتها . . الحوت في المنطقة الجليدية لبس معطفا من الشحم . . والدببة لبست الفراء وانسان الغابة في الشمس الاستوائية

اسود جلده فاصبح كالمظلة الواقية ليقيه الشمس . وسحالى الكهوف ضمرت عيونها لانها لا تجد لها فائدة فى الظلام فاصبحت عمياء بينما سحالى البرارى نراها مبصرة . والحيوانات التى نزلت المساء طورت اطرافها الى زعانف والثى غزت الجو طورت اطرافها الى اجنحة وزواحف الارض طورت اطرافها الى ارجل .

ثم الا يحكى الجنين القصة لفى مرحلة من مراحل نموه نراه يتنفس بالحياشيم ثم تضمر الحياشيم وتظهر فيه الرئتان وفى مرحلة نجد له ذيلا ثم يضمر الذيل ويختفى وفى مرحلة نراه يكتسى بالشعر ثم ينحسر بعد ذلك الشعر عن جسمه .

ثم الا تحكى لنا طبقات الصخور بما حفظت لنا من حفريات قصة متسلسلة الحلقات عن ظهور واختفاء هذه الانواع الواحد بعد الآخر من الحيوانات البسيطة وحيدة الخلية الى عديدة الخلايا الى الرخويات الى القشريات الى الاسماك الى البرمائيات الى الزاحفات الى الطيور الى الثدييات . . . واخيرا الى الانسان . ولقد اصاب داروين وابدع حينما وضع هذه المقدمة القيمة فى التشابه التشريحي بين الحيوانات واصاب حينما قال بالتطور .

ولكنه اخطا حينما حاول ان يفسر عملية الارتقاء واطا حينما حاول ان يتصور مراحل هذا الارتقاء وتفصيله . كان تفسير داروين لعملية الارتقاء انه يتم بالعوامل المادية التلقائية وحدها . . . حيث تتقاتل الحيوانات بالناب والمخلب فى صراع الحياة الدموى الرهيب فيموت الضعيف ويكون البقاء دائما للاصلح . . . تلك الحرب الناشبة فى الطبيعة هى التى تفرز الصالح والقوى وتشجعه وتبقى على نسله وتفسح امامه سبل الحياة .

واذا كانت هذه النظرية تفسر لنا بقاء الاقوى فانها لا تفسر لنا بقاء الاجمل . . . فان الجناح المنقوش لا يمتاز باى صلاحيات مادية او معاشية عن الجناح الابيض . وليس اكثا منه فى الطيران .

واذا قلنا ان الذكر يفضل الجناح المنقوش . . . فى التزاوج

فسوف نسال ولماذا . . ما دام هذا النقش لا يمثل أى مزيد من الكفاءة .

وإذا دخل تفضيل الاجمل فى الحساب فان النظرية المادية تنهار من أساسها .

وتبقى النظرية بعد ذلك عاجزة عن تفسير لماذا خرج من عائلة الحمار شيء كالحصان ولماذا خرج من عائلة الوعل شيء رقيق مرهف وجنيل كالغزال . . مع أنه أقل قوة وأقل احتمالا كيف نفسر جناح الهدمد وريشة الطاووس وموديلات الفراش بألوانها البديعة ونقوشها المذهلة . . نحن هنا أمام يد مصور فنان ماهر يتفنن ويبدع . . ولسنا أمام عملية غليظة كصراع البقاء وحرب المخلب والناب .

والخطا الثانى فى نظرية التطور جاء بعد ذلك من اصحاب نظرية الطفرة .

والطفرات هى الصفات الجديدة المفاجئة التى تظهر فى النسل نتيجة طفرات غير محسوبة فى عملية تزاوج الخلية الانثوية والخلية الذكرية ولقاء الكروموسومات لتحديد الصفات الوراثية .

وأحيانا تكون هذه الصفات الجديدة صفات ضارة كالسوخ والتشمومات . وأحيانا تكون طفرات مفيدة للبيئة الجديدة للحيوان كان تظهر للحيوان الذى ينزل الماء أرجل مبطلطة . . فتكون صفة جديدة مفيدة لان الارجل المبطلطة أنسب للسباحة فتشجع الطبيعة هذه الصفة وتنقلها الى الاجيال الجديدة وتقضى على الصفة القديمة لعدم صلاحيتها وبذلك يحدث الارتقاء وتتطور الارجل العادية الى أرجل غشائية .

وخطا هذه النظرية أنها أقامت التطور على أساس الطفرات والاختلاء العشوائية . . وأسقطت عملية التدبير والابداع تماما . ولا يمكن أن تصلح هذه الطفرات العشوائية أساسا لما نرى حولنا من دقة وابداع واحكام فى كل شيء .

ان البهوضة تضع بيضها فى المستنقع . . وكل بيضة تاتى الى الوجود مزودة بكيسين للطفو .

من أين تعلمت البعوضة قوانين أرشميدس لتزود بيضها
 بهذه الاكياس الطافية •
 وأشجار الصحارى تنتج بذورا مجنحة تطير مع الرياح
 أميالا وتنتشر فى مساحات واسعة بلا حدود •
 من أين تعلمت أشجار الصحارى قوانين الحمل الهوائى
 لتصنع لنفسها هذه البذور المجنحة التى تطير مئات الاميال
 بحثا عن اراض ملائمة للانبات •
 وهذه النباتات المفترسة التى تصطنع لنفسها الفخاخ
 والثرثراك الحداعية العجيبة. لتتصيد الحشرات وتهضمها وتاكلها •
 بأى عقل استطاعت أن تصطنع تلك الحيل •
 نحن هنا أمام عقل كلى يفكر ويبتكر لمخلوقاته ويبدع لها
 أسباب الحيل •
 لا يمكن تصور حدوث الارتقاء بدون هذا العقل المبدع •

(الذى اعطى كل شئ خلقه ثم هدى) ٥٠ - طه

والعقبة الثالثة أمام نظرية داروين •• هى ما اكتشفناه الآن
 باسم الخريطة الكروموسومية • أو خريطة الجينات •• ونحن
 نعلم الآن أن لكل نوع حيوانى خريطة كروموسومية خاصة به
 ويستحيل أن يخرج نوع من نوع بسبب اختلاف هذه الخريطة
 الكروموسومية •
 نخلص من هذا الى أن نظرية داروين تعثرت واذا كان
 التشابه التشريحي بين الحيوانات حقيقة متفقا عليها •
 واذا كان التطور أيضا حقيقة •• الا أن مراحل هذا التطور
 وكيفياته ما زالت لغزا •
 هل كانت هناك بدايات مستقلة أم أن بعض الفروع تلتقى
 عند أصول واحدة •
 والتطور وارد باللفظ الصريح فى القرآن •• كما أن مراحل
 الخلق والتصوير والتسوية ونفخ الروح زائدة •
 ولكن لم يستقر العلم على نظرية ثابتة لتلك المراحل بعد ••
 واذا عدنا لسورة السجدة التى تحكى عن الله. أنه :

(بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) ٧ - ٨ - ٩ - السجدة

فان معنى الآية صريح. في أن البدايات الاولى للانسان التي جاء منها آدم فيما بعد وهي تلك التي جاء نسلها من ماء مهين . .
لم يكن لها سمع ولا ابصار ولا أفئدة .
وانما جاءت هذه الابصار والاسماع والافئدة بعد نفخ الروح وهي آخر مراحل خلق آدم .
هي اذن بدايات. أشبه بالحياة الحيوانية المتخلفة .
(هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)
٢١ - الانسان

ولا أظن أن هذا يختلف عن العلوم التي تتحدث عنها .

والحقيقة بعد هذا ما زالت لغزا . . . ولا يستطيع أحسد أن يدعي أنه كشف الحقيقة . . . وقد يكون ما حدث شيئا غير كل ما قلنا وغير كل ما تصور العلماء والسؤال ما زال مفتوحا للبحث وكل ما جاء به العلم فروض .



● كلمة

لا إله إلا الله

قال صاحبي :

- ألسنت معي في أنكم تبالفون كثيرا في استخدام كلمة لا اله الا الله وكأنها مفتاح لكل باب .. تشيعون بها الميت والقلائد وتصكون بها العملات وتعلقونها على الاختام وتنقشونها على قلائدكم تقولون ان جسمه اعتق من النار .. فاذا نطق بها مائة ألف مرة دخل الجنة وكأنها طلسم سحري أو تعويذة لطرد الجن أو قمقم لحبس المردة .. ثم هذه الحروف التي لا تعرفون لها معنى .. ل . م . كهيمض .. طسم .. حم .. الر . هل أنجو من المذاب اذا قلت لا اله الا الله . اذن فاني اقولها وأشهدك وأشهد الحضور على ذلك .. لا اله الا الله .. هل انتهى الامر .

- بل لم تقل شيئا .

ان لا اله الا الله لمن يعمل بها وليست لمن يشقشق بها لسانه لا اله الا الله منهج عمل وخطة حياة وليست مجرد حروف .. ودعنا نفكر قليلا في معناها .. اننا حينما نقول لا اله الا الله نعني

انه لا معبود الا الله وبين لا والا بين النفي والاثبات في العبارة بين هاتين الدفتين تقع العقيدة كلها لا النافية تنفي الالوهية عن كل شيء .. عن كل ما تعبد من مشتهيات في الدنيا .. عن المال والجاه والسلطان واللذات وترف العيش والنساء الباهرات والعز الفاره .. لكل هذا نقول لا .. لا نعبدك .. لست الها .. ثم نقول لا لنفوسنا التي تشتتهى تلك الاشياء لان الانسان يعبد نفسه في العادة ويعبد رايه ويعبد هواه واختياره ومزاجه ويعبد ذكاه ومواهبه وشهرته ويتصور أن بيده مقاليد الامور واقدار الناس والمجتمع .. ويجعل من نفسه الها دون أن يدري .. لهذه النفس نحن نقول لا .. لا نعبدك .. لست الها .

نقول « لا » - للمدير والرئيس والحاكم .. لا لست الها . ومعنى كلمة « اله » اي « فاعل » .. والفاعل بحق عندنا هو الله ، أما كل هذه الاشياء فوسائط وأسباب . المدير والوزير والرئيس والمال والجاه والسلطان والنفس بذكائها ومواهبها .. لكل هذا نقول لا .. لست الها .

« الا » - واحد نستثنيه ونثبت له تلك الفاعلية والقدرة هو الله .

وبين لا والا بين هذا النفي وهذا الاثبات تقع العقيدة كلها فمن كان مشغولا بجمع المال وتكديس الثروات وتملق السلطان والتزلف للرؤساء وتحزى اللذات واتباع هوى نفسه وتعشق رايه والتعصب لوجهة نظره .. فهو لم يقل لا لكل هذه المعبودات وهو ساجد في محرابها دون أن يدري وحينما يقول لا اله الا الله فهو يقولها كاذبا .. يقول بلسانه مالا يفعل بيديه ورجليه .

ومعنى « لا اله الا الله » انه لا حسيب ولا رقيب الا الله . هو وحده المدير بالحشية والخوف والمراقبة .. فمن كان يخاف المرض ومن كان يخاف الميكروب ومن كان يخاف عصا الشرطي وجند الحاكم فانه لم يقل « لا » .. لكل تلك الآلهة الوهمية .. وانما هو ما زال ساجدا لها وقد اشرك مع خالقه كل تلك الالهة

المزيقة •• فهو كاذب في كلمة « لا اله الا الله » •
ومعنى ذلك أن « لا اله الا الله » عهد ودستور ومنهج حياة •
والمقصود بها •• العمل بها •
فمن عمل بها كانت له طلسمًا بالفعل يفتح له كل الابواب
العصية •• وكانت نجاة في الدنيا والآخرة ومدخلا الى الجنة •
أما نطق اللسان بدون تصديق القلب وعمل الجوارح ••
فانه لا يغنى •

و « لا اله الا الله » تعنى أكثر من هذا موقفا فلسفيا •
يقول الدكتور زكي نجيب محمود ان « شهادة لا اله الا الله »
تتضمن الاقرار بثلاث حقائق •• أن الشاهد موجود والمشهود
موجود • والحضور الذين تلقى امامهم الشهادة موجودون أيضا
أى أنها اقرار صريح بأن الذات والله والآخرين لهم جميعا وجود
حقيقى •

وبهذا يرفض الإسلام الفلسفة المثالية كما يرفض الفلسفة
المادية فى ذات الوقت •• يرفض اليمين واليسار معا ويختار
موقفا وسطا •

يرفض المثالية الفلسفية •• لان المثالية الفلسفية لا تعترف
بوجود الآخرين ولا بوجود العالم الموضوعى كحقيقة خارجية
مستقلة عن العقل •• وانما كل شيء فى نظر الفلسفة المثالية
يجرى كأنه حلم فى دماغ •• أو أفكار فى عقل •• أنت
والراديو والشارع والمجتمع والصحيفة والحرب كلها حوادث
ومراتى وأحلام تجزى فى عقلى •• لا وجود حقيقى للعالم
الخارجى •

وهذا الموقف المثالى المتطرف يرفضه الإسلام وترفضه
الشهادة لانها كما قلنا اقرار صريح بأن الشاهد والمشهود
والحضور الذين تلقى امامهم الشهادة أى الذات والله والآخرين
حقائق مقررة •

كما يرفض الإسلام أيضا الفلسفة المادية لان الفلسفة المادية
تعترف بالعالم الموضوعى ولكنها تنكر ما وراه •• تنكر
الغيب والله •

والاسلام بهذا يقدم فلسفة واقعية وفكرا واقميا فيعترف
بالعالم الموضوعي ثم يضيف الى هذا العالم كل الثراء الذي
يتضمنه الوجود الالهي الغيبي . . . ويقدم تركيبا جدليا جامعا
بين فكر اليمين وفكر اليسار في فلسفة جامعة ما زالت تتحدى
كل اجتهاد المفكرين فتسبق ما سطرورا من نظريات ظنية
لا تقوم على يقين .

شهادة « لا اله الا الله » تعنى اذن منهج حياة وموقفا
فلسفيا .

ولهذا قانت تكذب وانك الرجل المادى الذى اخترت موقفا
فلسفيا ماديا وانك تنطق بالشهادة كذبتين :

الكذبة الاولى - أنك تشهد بما ينافى فلسفتك .

والكذبة الثانية - أنك لا تعمل بهذه الشهادة فى حياتك
قدر خردلة . .

أما حكاية ا ل . م . و كهيمص . حم . الر . . فدعني
أسألك . . وما حكاية س ص ولوغاريتم ومعادلة الطاقة
ط = ك × س؟ وهى الغاز وطلاسم بالنسبة لمن لا يعرف
شيئا فى الحسب والجبر والرياضيات . . وعند العالمين لها
معاني خطيرة .

كذلك هذه الحروف حينما يكشف لنا عن معناها .

قال صاحبي فى سخريته :

- وهل كشف لك عن معناها ؟

قلت وأنا ألقى بالقنبلة :

- هذا موضوع مثير. يحتاج الى كلام آخر طويل وسوف

يدهشك .

● كهيص

قلت لصديقي الملحد :

- لا شك أن هذه الحروف المقطعة في أوائل السور قد صدمتك حينما طالعتها لأول مرة .. هذه ال حم طسم ال م كهيص .. ق .. ص .. ترى ماذا قلت لنفسك وأنت تقرأها؟ اكتفى بأن يمط شفثيه في لامبالاة ويقول في غمضة مبتورة:

- يعني .

- يعني ماذا .

- يعني .. أى كلام يضحك به النبي عليكم ..

- حسنا دعنا نختبر هذا الكلام الذى تدعى أنه كلام فارغ الذى تصورت أن النبي يضحك به علينا .

ودعنا نأخذ سورة صغيرة بسيطة من هذه السور .. سورة ق مثلا .. ونجرب تجربة .. فنعد ما فيها من قافات وسنجد أن فيها ٥٧ قافا .. ثم نأخذ السورة التالية وهى سورة الشورى وهى ضعفها فى الطول وفى فواتحها حرف ق أيضا .. وسنجد أن فيها هى الأخرى ٥٧ قافا .

هل هى صدفة .. لنجمع ٥٧ + ٥٧ = ١١٤ عدد سور

القرآن ٠٠ هل تذكر كيف تبدأ سورة ق ٠٠ وكيف تختتم ٠٠
في بدايتها « ق والقرآن المجيد » ٠٠ وفي ختامها ٠٠ « فذكر
بالقرآن من يخاف وعيد » ٠٠ وكأنها هي اشارات بأن ق ترمز
للقرآن ٠٠ « ومجموع القافات ١١٤ وهي مجموع سور
القرآن » ٠

قال صاحبي في لامبالاة :

— هذه أمور من قبيل الصدف ٠

قلت في هدوء :

— سنمضى في التجربة ونضج سور القرآن في العقل
الالكترونى ونسأله أن يقدم لنا احصائية بمعدلات توارد حرف
القاف في جميع السور ٠

قال وقد توترت أعصابه وتيقظ تماما :

— وهل فعلوها ؟

قلت في هدوء :

— نعم فعلوها ٠

— وماذا كانت النتيجة ٠

— قال لنا العقل الالكتروني ان أعلى المتوسطات والمعدلات
موجودة في سورة ق وان هذه السورة قد تفوقت حسابيا على
كل المصحف في هذا الحرف ٠٠ هل هي صدفة أخرى ٠
— غريب ٠

— وسورة الرعد تبدأ بالحرف ال م ر قدم لنا العقل
الالكترونى احصائية بتوارد هذه الحروف في داخل السور
كالآتي :

ا ترد ٦٢٥ مرة

ل ترد ٤٧٩ مرة

م ترد ٢٦٠ مرة

ر ترد ١٢٧ مرة

هكذا وفي ترتيب تنازلى ا ثم ل ثم م ثم ر بنفس الترتيب
الذى كتبت به ال م ر تنازليا ثم قام العقل الالكتروني باحصاء

معدلات توارد هذه الحروف في المصحف كله ٠٠ والفي الينا
بالقنبلة الثانية ٠٠ أن أعلى المعدلات والمتوسطات لهذه الحروف
هي في سورة الرعد ٠٠ وأن هذه السورة تفوقت حسابيا في
هذه الحروف على جميع المصحف .

نفس الحكاية في ال م البقرة .

ا ورددت ٤٥٩٢ مرة

ل ورددت ٣٢٠٤ مرات

م ورددت ٢١٩٥ مرة

بنفس الترتيب التنازلي ال م .

ثم يقول لنا العقل الالكتروني أن هذه الحروف الثلاثة لها

تفوق حسابي على باقي الحروف في داخل سورة البقرة .

نفس الحكاية في ال م سورة آل عمران .

ا ورددت ٢٥٧٨ مرة

ل ورددت ١٨٨٥ مرة

م ورددت ١٢٥١ مرة

بنفس الترتيب التنازلي ال م وهي تتوارد في السورة

بمعدلات أعلى من باقي الحروف .

نفس الحكاية ال م سورة العنكبوت .

ا ورددت ٧٨٤ مرة

ل ورددت ٥٥٤ مرة

م ورددت ٣٤٤ مرة

بنفس الترتيب التنازلي ال م وهي تتوارد في السورة

بمعدلات أعلى من باقي الحروف .

نفس الحكاية في ال م سورة الروم .

ا ورددت ٥٤٧ مرة

ل ورددت ٣٩٦ مرة

م ورددت ٣١٨ مرة

بنفس الترتيب التنازلي ال م ثم هي تتوارد في السورة

بمعدلات أعلى من باقي الحروف .

وفي جميع السور التي ابتدأت بالحروف ال م نجد أن

السور المكية تتفوق حسابيا في معدلاتها على باقي السور

المكية ، والمدنية تتفوق حسابيا في معدلاتها من هذه الحروف على باقى السور المدنية .

وبالمثل في ال م ص سورة الاعراف .
يقول لنا العقل الالكتروني أن معدلات هذه الحروف هي أعلى ما تكون في سورة الاعراف ، وأنها تتفوق حسابيا على كل السور المكية في المصحف .

وفي سورة طه نجد أن الحرف ط والحرف هـ يتواردان فيها بمعدلات تتفوق على كل السور المكية . . وكذلك في كهيعص مريم ترتفع معدلات هذه الحروف على كل السور المكية في المصحف .

كما نجد أن جميع السور التي افتتحت بالحروف حم . . إذا ضمت الى بعضها فإن معدلات توارد الحرف ح والحرف م تتفوق على كل السور المكية في المصحف .

وبالمثل السورتان اللتان افتتحتا بحرف ص وهما سورة ص والاعراف « أ ل م ص » . ويلاحظ أنهما نزلتا متتابعتين في الوحي . . إذا ضمنا معا تفوقنا حسابيا في هذه الحروف على باقى المصحف .

وكذلك السور التي افتتحت بالحروف ال ر وهي ابراهيم ويونس وهود ويوسف والحجر وأربع منها جاءت متتابعة في تواريخ الوحي . . إذا ضمت لبعضها . . أعطانا العقل الالكتروني أعلى معدلات في نسبة توارد حروفها ال ر على كل السور المكية في المصحف .

أما في سورة يس فإننا نلاحظ أن الدلالة موجودة ولكنها انعكست . . لأن ترتيب الحروف انعكس ، فالياء في الاول يس « بعكس الترتيب الابجدى » .

ولهذا نرى أن توارد الحرف ي والحرف س في السورة هو أقل من توارد ه في جميع المصحف مدنيا ومكيا .
فالدلالة الاحصائية هنا موجودة ولكنها انعكست .
كان صاحبي قد نسكت تماما .

قلت وأنا أطمئنه :

— أنا لا أقول هذا الكلام من عيذ نفسي وإنما هي دراسة

- قام بها عالم مصرى فى امريكا هو الدكتور رشاد خليفة ••
- وهذا الكتاب الذى بين يديك يقدم لك هذه الدراسة مفصلة •

Miracle of the Quran

Islamic Productions international in St. Louis mo

- وقدمت اليه كتابا انجليزيا مطبوعا فى امريكا للمؤلف •
- اخذ صاحبي يقلب الكتاب فى صمت •
- قلت :

— لم تعد المسألة صدفه •• وانما نحن امام قوانين محكمة
و حروف محسوبة كل حرف وضع بميزان ورحمت اُتلو عليه
من سورة الشورى •

(الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان) ١٧ - الشورى
واى ميزان •• نحن هنا امام ميزان يدق حتى يزن الشعرة
والحرف •• اظن ان فكرة النبي الذى يؤلف القرآن ويقول
لنفسه سلفا سوف اؤلف سورة الرعد من حروف ال م ر
واورد بها أعلى معدلات من هذه الحروف على باقى الكتاب وهو
لم يؤلف بعد الكتاب مثل هذا الظن لم يعمد جانزا •• واين
هذا الذى يحصى له هذه المعدلات وهى مهمة لا يستطيع أن يقوم
بها الا عقل الكترونى ولو تكفل هو بها فانه سيقضى بضع سنين
ليحصى الحروف فى سورة واحدة يجمع وي طرح بعلوم عصره
وهو لا يعرف حتى علوم عصره وهل سيؤلف او يشتغل عدادا
للحروف •

نحن هنا امام استحالة •

فاذا عرفنا أن القرآن نزل مفردا ومقطعا على ٢٣ سنة ••
فانا سوف نعرف أن وضع معدلات احصائية مسبقة بحروفه
هى استحالة اخرى •• وأمر لا يمكن أن يعرفه الا العليم الذى
يعلم كل شىء قبل حدوثه والذى يحصى بأسرع وأدق من كل
العقول الالكثرونية •• الله الذى احاط بكل شىء علما ••
وما هذه الحروف المقطعة فى فواتح السور الا رموز عمه بنها

فى تضاعيف كتابه لنكتشفها نحن على مدى الزمان .
(سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم
انه الحق) ٥٣ فصلت
ولا أقول ان هذه كل أسرار الحروف . بل هى مجرد بداية
لا أحد يدرى الى أى آفاق سوف توصلنا .
وهذه الحروف بهذه الدلالة الجديدة تنفى نفيًا باتًا شبهة
التأليف .

ثم هى تضعنا أمام موازين دقيقة ودلالات عميقة لكل حرف
فلا يجرؤ أحدنا أن يقول انه أمام . . أى كلام . . ألا ترى
يا صاحبي أنك أمام كلام لا يمكن أن يكون أى كلام .
ولم يجب صاحبي ، وإنما ظل يقلب الكتاب الانجليزى
ويتصفحه ثم يعود فيقلبه دون أن ينطق بحرف .



● المعجزة

قال صاحبى :

- لا أفهم كيف يجوز للرب الرحيم الذى تصفونه بأنه رءوف ودود كريم عفو غفور .. كيف يمكن لهذا الرب أن يأمر نبيه الخليل المقرب إبراهيم بأن يذبح ولده .. ألا ترى معى أن هذه مسألة صعبة التصديق ؟

- القصة تدل من سياقتها وأحداثها على أن مراد الله من إبراهيم لم يكن ذبح ابنه بدليل أن الذبح لم يحدث .. وإنما كان المراد أن يذبح إبراهيم شغفه الزائد بابنه ومحبه الزائدة لابنه وتعلقه الزائد بابنه .. اذ لا يجوز أن يكون فى قلب النبى تعلق بغير الله .. لا دنيا ولا ولد ولا جاه ولا سلطان .. كل هذه الامور لا يصح أن يتعلق بها قلب النبى .. وكما هو معلوم كان اسماعيل قد جاء لأبيه إبراهيم على كبر وعلى شيخوخة .. فشغف به الشيخ وتعلق به .. فجاء امتحان الله لنبيه ضروريا .. وما حدث فى القصة يدل على سلامة هذا التفسير .. فما أن صدق النبى لأمر ربه وأشرع سكينه ليذبح ولده حتى جاء أمر السماء بالفداء .

- وما رأيك في معجزات ابراهيم العجيبه ودخوله النار دون أن يحترق . . وما فعله موسى من بعده حينما أخرج من عصاه ثعبانا ثم حينما شق بهذه العصا البحر ثم حينما أخرج يده من تحت ابطه فاذا هي بيضاء . . ألا تبدو هذه الامور وكأنها عرض بهلوانى فى سيرك . . وكيف يدلل الله على قدرته وعظمته بهذه البهلوانيات التى هى فى حد ذاتها . . صنوف من اللامعقول . . وأمثلة من خرق النظام . . ألا يبدو أن البرهان الاقوى على عظمة الله هو النظام والعقل والانتضباط والقوانين فى سريانها الجميل فى الكون دون أن تخرق .
- لقد فهمت المعجزة خطأ . . وتصورتها خطأ .

المعجزة فى تصورك عمل بهلوانى وخرق للقانون ولا معقول ولكن الحقيقة غير ذلك .

ودعنى أقرب الموضوع الى ذهنك بمثل . . لو أنه قدر لك أن تعود ثلاثة آلاف سنة الى الوراثة ثم تدخل على فرعون مصر فى ذلك الزمن البائد ومعك ترانزستور فى حجم علبة الثقب يتكلم ويفنى من تلقاء نفسه . . ترى ماذا سيكون حال فرعون وحاشيته - سيهتفون فى ذهول بلا شك بمعجزة . . سحر . . لا معقول . . خرق لجميع القوانين . . ولكننا نعلم الآن انه لا اعجاز فى الموضوع ولا سحر ولا خرق لأى قانون . . بل ان ما يحدث فى داخل الترانزستور هو أمر يجرى حسب قوانين فى علم الالكترونيات . . وانه معقول تماما . . وسيكون الامر أعجب لو أنك دخلت على ملك بابل وفى يدك تليفزيون ينقل الصور من بلاد الروم . . وسوف يصفق ملك آشور عجباً لو أنك أدت له أسطوانة بلاستيك فتكلمت .

بل ان التاريخ ليحفظ لنا قصة مماثلة حينما نزل المستعمرون افريقيا . . وحطت أول طائرة لهم فى الغابة وسط البدائيين . . ماذا حدث . . سجد الزوج العراة على وجوههم ودقوا الطبول وذبحوا القرابين وظنوا أن الله نزل من سماواته وتصوروا فيما حدث خرقاً لجميع القوانين . . مع أننا نعلم الآن ان الطائرة تطير بقانون وتنزل بقانون وانها مصممة حسب

القوانين الهندسية المحكمة .. وان طيرانها امر معقول تماما -
وانها لا تخرق قانون الجاذبية .. وانما تتجاوز هذا القانون
بقانون آخر هو قانون الفعل ورد الفعل ، نحن اذن امام تفاضل
قوانين وليس امام خرق قوانين .. والماء يصعد في سساق
النخلة ضد الجاذبية ليس يخرق هذه الجاذبية والما بمجموعة
قوانين فسيولوجية تتفاضل معها .. هي قانون تماسك العمود
المائى وقانون الخاصية الشعرية وقانون الضغط الازموزى ..
وهي جميعها قوانين تؤدي الى شد الماء الى اعلى .

نحن دائما لا نخرج عن العقل ولا عن المعقول وما حدث لم
يكن بهلوانيات .. وانما كانت دهشة الزنوج البدائيين مردها
جهلهم بهذه القوانين .. وكذلك دهشتك امام شتى موسى
للبحر واخراجه للشعبان من العصا واحياء عيسى للموتى ودخول
ابراهيم للنار دون ان يحترق .. تصورت انها لا معقول وخرق
للقوانين وبهلوانيات .. بينما هي تجرى جميعها على وفاق
قوانين الالهة تتفاضل مع القوانين التى تعرفها .. وهى اذن
صنوف من النظام .. ومن المعقول .. ولكن اعلى من مداركنا
والله لا يهدم النظام بهذه المعجزات وانما يشهدنا على نظام اعلى
وقوانين اعلى وعقل اكبر من استيعابنا .

وقد وقع البهائيون فى نفس غلطتك حينما رفضوا المعجزات
وتصوروا ان قبولها فيه امتهان للعقل وازدراء بالعقل فتحاولوا
على القرآن وخرقوا معانيه عن ظاهرها فموسى لم يشق البحر
بعصاه .. وانما كانت عصاه هى الشريعة التى فرقته الحق من
الباطل وبالمثل كانت يده البيضاء هى رمز ليد الخير .. وبالمثل
احيا عيسى النفوس ولم يحيى الاجساد .. وفتح العقول ولم
يفتح العيون العمياء .. وبهذا اخرجوا القرآن عن معانيه
الحرفية الى تاويلات وتفسيرات مجازية ورمزية كلما اصطدموا
بشئ لم يعقلوه .

وكان هذا لانهم اخطاروا فهم المعجزة وتصوروا انها لا معقول
وخرق للقانون وهدم للنظام .. وهو نفس ما وقعت فيه .
والحق اننا نعيش فى عصر لم تعد تستغرب فيه المعجزات .

وقد رأينا العليم يأخذ بيدنا الى سطح القمر . واذا كان
العلم البشرى أعطانا كل هذا السلطان ، فالعلم الالهى المدنى
لا شك يمكن أن يمدنا بسلطان أكبر .

استمع الى هذه الآية الجميلة :

(يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنزلوا من السماء
السماوات والارض فانزلوا .. لا تنزلون الا بسلطان)
٣٣ - الرحمن

وهذا هو السلطان .. العلم البشرى .. وأعظم منه
العلم الالهى .



● معنى الدين

قال ضاحبي :

— اسمع .. اذا كانت عندكم جنة كما تقولون .. فانا اول واحد سوف يدخلها. فانا أكثر دينا من كثير من دعائكم من اصحاب اللحى والمسايح اياهم .
— أكثر دينا .. ماذا تعنى بهذا .

— أعنى أنى لا أؤذى أحدا ولا أسرق ولا أقتل ولا ارتشى ولا أحسد ولا أحقد ولا أضمر سوءا لمخلوق ولا أنوى الا الخير ولا أهدف الا الى النفع العام .. أضحو وأنا م بضمير مستتر يبع وشعار حياتى هو الاصلاح ما استطمت .. اليس هذا هو الدين الا تقولون عندكم أن الدين المعاملة .

— هذا شيء له اسم آخر .. اسمه حسن السير والسلوك .. وهو من مقتضيات الدين ولكنه ليس الدين .. انك تخلط بين الدين وبين مقتضياته .. والدين ليس له الا معنى واحد هو معرفة الاله .. أن تعرف الهك حق المعرفة ويكون بينك وبين هذا الاله سلوك ومعاملة .. أن تعرف الهك عظيما جليلا قريبا مجيبا يسمع ويرى فتدعوه واكما ساجدا خاشعا خشوع العبد

للرب .. هذه المعاملة الخاصة بينك وبين الرب هي الدين ..
أما حسن معاملتك لآخوانك فهي من مقتضيات هذا الدين وهي
في حقيقة الامر معاملة للرب أيضا .
يقول نبينا عليه الصلاة والسلام :

« ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل » .
فمن أحب الله أحب مخلوقاته وأحسن اليها .. أما اذا
اقتصرت معاملاتك على الناس لا تعترف الا بهم ولا ترى غيرهم
ولا ترى غير الدنيا فانت كافر تماما وان احسنت السير
والسلوك مع هؤلاء الناس .. انما يدل حسن سيرك وسلوكك
على الفطانة والكياسة والنسياسة والطبع اللبيب وليس على
الدين . فانت تريد أن تكسب الناس لتنجح في حياتك وحسن
سيرك وسلوكك ذريعة الى كسب الدنيا فحسب .. وهذه
طباع أكثر الكفار أمثالك .

- صدقنى أنا أشعر أحيانا بأن هناك قوة .
- .قوة ! ..

- نعم ثمة قوة مجهولة وراء الكون . أنا أومن تماما بأن
هناك قوة .

- وما تصورك لهذه القوة .. اتصورها كأننا نسمع ويرى
ويعقل ويتعهد مخلوقاته بالرعاية والهداية وينزل لهم الكتب
ويبعث لهم الرسل ويستجيب لصراخاتهم وتوسلاتهم .
- بصراحة أنا لا أصدق هذا الكلام ولا أتصوره وأكثر من
هذا أراه ساذجا لا يليق بهذه القوة العظيمة .

- اذن فهي قوة كهرمغناطيسية عمياء تسوق الكون في عيشية
لا خلاق لها .. وهذه هي الصفة التي تليق بقوتك العظيمة .
- ربما .

- بشئ ما تصورت الهك .. خلق لك البصر فتصورته
أعمى .. وخلق لك الرشيد فتصورته عابثا أخرق .. والله انك
الكافر بعينه ولو احسنت السير والسلوك مدى الدهر ..
وان أعمالك الصالحة مصيرها الاحباط يوم الحساب وأن تتبدد
هباء منثورا .

— الا يكون هذا ظلما •

— بل هو عين العدل •• فقد تصورت هذه الاعمال من ذاتك ليس وراءها الهادى الذى هناك والرشيده الذى ارشدهك •• فظلمت الهك وانكرت فضله وهذا هو الفرق بين طيبات المؤمن وطيبات الكافر اذا استوى الاثنان فى حسن السير والسلوك الظاهر •• فكلاهما قد بينى مستشفى لعلاج المرضى •• فيقول الكافر •• انا بنيت هذا المستشفى العظيم للناس •

ويقول المؤمن : وفقنى ربى الى بناء هذا المستشفى للناس • وما كنت الا واسطة خير •• وما اكبر الفرق •• واحد اسند الفضل لصاحب الفضل ولم يبق لنفسه فضلا الا مجرد الوساطة وحتى هذه يشكر عليها الله ويقول احمدك يا ربى ان جعلتنى سببا •• فارق كبير بين الكبرياء والتواضع •• وبين العلو والخفض الجناح •• بين الجبروت والوداعة •• ولهذا فانتم فى دياتكم الوثنية لهسته القوة الكهرمغناطيسية العمياء لا تصلون ولا تسجدون •

— ولماذا تصل لمن نصلى •• انى لا ارى لصلواتكم هذه اى حكمة •• ولماذا كل تلك الحركات اما كان يكفى الخشوع •

— حكمة الصلاة ان يتحطم هذا الكبرياء المزيف الذى تعيش فيه لحظة سجودك وملامسة جبهتك التراب وقولك بلسانك وقلبك : « سبحان ربى الاعلى » •• وقد عرفت مكانك أخيرا وانك أنت الادنى وهو الاعلى •• وانك تراب على التراب وهو ذات منزهة من فوق سبع سموات •

اما لماذا الحركات فى الصلاة ولماذا لا تكتفى بالخشوع القلبي فانى اسألك بدورى ولماذا خلق لك الجسد أصلا •• ولماذا لا تكتفى بالحلب السفوى فتريد أن تعاقق وتقبل •• لماذا لا تكتفى بالكرم السفوى فتجود باليد والمال •• بل خلق الله لك الجسد ليضع قلبك •• فما كان فى قلبك بحسب فاض على جسدهك اذا كان خشوعك صادقا فاض على جسدهك فركعت وسجدت •• وان كان خشوعك زائفا لم يتعد لسانك •

— هل تعتقد أنك ستدخل الجنة •

- كلنا سنسرد النار ثم ينجي الله الذين اتقوا ، ولا أعرف هل اتقيت أم لا • يعلم هذا علام القلوب وكل عملى للاستف حبر على ورق •• وقد يسلم العضل ولا تسلم النية •• وقد تسلم النية ولا يسلم الاخلاص •• فيظن الواحد منا أنه يعمل الخير لوجه الله وهو يعمله للشهرة والدنيا وإجاه بين الناس •• وما أكثر ما يخدع الواحد منا فى نفسه ويدخل عليه التلبيس وحسن الظن والاطمئنان الكاذب من حيث لا يدري •• نسأل الله السلامة •

- وهل يستطيع الانسان أن يكون مخلصا ؟

- لا يملك ذلك من تلقاء نفسه وإنما الله هو الذى يخلص القلوب ولهذا يتكلم القرآن فى أكثر الآيات عن المخلصين - يفتح اللام - رئيس المخلصين بكسر اللام • ولكن الله وعد بأن « يهدى اليه من ينيب » أى كل من يؤوب ويرجع اليه •• فعليك بالرجوع اليه •• وعليه الباقي •



● فزنا بسعادة الدنيا وفزتم بالأوهام

قال صاحبي .. وكانت في نبرته فرحة رجل منتصر :
— مهما اختلفنا ومهما طال بنا الجدل فلا شك أننا خرجنا
من معركتنا معكم منتصرين فقد فزنا بسعادة الدنيا وخرجتم
أنتم ببضعة أوهام في رؤوسكم : وماذا يجدى الكلام وقد
خرجنا من الدنيا بنصيب الاسد .. فلنا السهرة والسكره
والنساء الباهرات والنعيم الباذخ واللذات التي لا يعكرها خوف
الحرام .. ولكم الصيام والصلاة والتساييح وخوف الحساب ..
من الذي ربح .

— هذا لو كان ما ربختموه هو السعادة .. ولكن لو
فكرنا معا في هدوء لما وجدنا هذه الصورة التي وصفتها عن
السهرة والسكره والنساء الباهرات والنعيم الباذخ واللذات
التي لا يعكرها خوف الحرام .. لما وجدنا هذه الصورة
الا الشقاء بعينه .
— الشقاء .. وكيف ؟

— لانها في حقيقتها عبودية لغرائز لا تشبع حتى تجوع
واذا اتخمتها أصابها الضجر والملل وأصابك أنت البلادة
واخمول .. هل تصلح أحضان امرأة لتكون مستقر سعادة
والقلوب تتقلب والهوى لا يستقر على حال والقواني يفرهن
الثناء .. وما قرأنا في قصص العشاق الا التعاسة فإذا تزوجوا
كانت التعاسة أكبر وخيبة الامل أكبر لان كلا من الطرفين
سوف يفترق في الآخر الكمال المعبود الذي كان يتخيله ..
وبعد قضاء الوطر وفتر الشهوة يرى كل واحد عيوب الآخر
بعدهم مكبرة .. وهل الثراء الفاحش الا عبودية اذ يضع الغني
نفسه في خدمة أمواله وفي خدمة تكثيرها وتجميعها وحراستها
فيصبح عبدها بعد أن كانت خادمته .. وهل السلطة والجاه
الا مزلق الى الفرور والكبر والظفیان .. وهل راكب السلطان
الا كراكب الأسد يوما هو راكبه ويوما هو مأكوله .. وهل
الحمر والسكر والمخدرات والقمار والعريضة والجنس بعيدا عن
العيون وبعيدا عن خوف الحرام سعادة .. وهل هي الا أنواع
من الهروب من العقل والضمير وعطش الروح ومسئولية
الانسان بالاغراق في ضرام الشهوة وسعاع الرغبات ..
وهل هو ارتقاء أم هبوط الى حياة القرود وتسافد البهائم
وتناكح السوائم .. صدق القرآن اذ يقول عن الكفار ..
أنهم :

(يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم)

١٢ - محمد

فهو لم ينكر أنهم يتمتعون ولكن كما تتمتع الانعام - وكما
ترعى السوائم .. وهل هذه سعادة - وهل حياة الشهوة تلك
الا سلسلة من الشيق والتوترات والجوع الأكال والتخمة
الحانقة لا تمت الى السعادة الحقبة بسبب .. وهل تكون السعادة
الحقة الا حالة من السلام والسكينة النفسية والتحرر الروحي
من كافة العبوديات .. وهل هي في تعريفها النهائي الا « حالة
صلح بين الانسان ونفسه وبين الانسان والآخريين وبين
الانسان والله » .. وهذه المصالحة والسلام والامن النفسى

لا تتحقق الا بالعمل .. بأن يضع الانسان قوته وماله وصحته
فى خدمة الآخرين وبأن يحيا حياة الخير والبر نية وعملا وأن
تتصل العلاقة بينه وبين الله صلاة وخشوعا فيزيده الله سكينه
ومددا ونورا .. وهل هذه السعادة الا الدين بعينه .. ألم يقل
الصوفى لابس الخرقه .. نحن فى لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا
عليها بالسيوف .. والدين عرفوا تلك اللذة .. لذة الصلة
بالله والصلح مع النفس .. يعلمون أن كلام الصوفى على حق .

— ألم تكن مثلنا من سنوات تسكر كما نسكر وتلهو كما
نلهو وتسعد هسهه السعادة الحيوانية التى تسعدها وتكتب
الكفر بعينه فى كتابك الله والانسان فتسبق به الحاد الملاحدة
فماذا غيرك من التقيض الى التقيض .

— سبحانه يغير ولا يتغير .

— أعلم أنك تقول أن كل شيء بفضل الله .. ولكن ماذا
كان دورك .. وماذا كان سعيك ؟

— نظرت حولى فرأيت أن الموت ثم الشراب فكتة وعبنا وهزلا
ورأيت العالم حولى كله محكما دقيقا منضبطا لا مكان فيسه
للهزل ولا للعبث .. ولو كانت حياتى عبثا كما تصور العابثون
ونهايتها لا شيء .. فلماذا أبكى ولماذا أندم ولما أتعرق والتهب
شوقا الى الحق والعدل والتمدى هذه القيم بالدم والحياة .

رأيت النجوم تجرى فى أفلاكها بقانون .. ورأيت الحشرات
الاجتماعية تتكلم والنباتات ترى وتسمع وتحس .. ورأيت
الحيوانات لها أخلاق .. ورأيت المخ البشرى عجيبة العجائب
يتألف من عشرة آلاف مليون خيط عصبى تعمل كلها فى وقت
واحد فى كمال معجز . ولو حدث بها عطل هنا أو هناك لباء فى
أنره الشلل والعمى والحرس والتخليط والهديان وهى أمور
لا تحدث الا استثناء .. فما الذى يحفظ لهذه الآلة الهائلة
سلامتها ومن الذى زودها بكل تلك الكمالات .

ورأيت الجمال في ورقة الشجر وفي ريشة الطاووس وجناح
الفراسخ وسمعت الموسيقى في صدح البلابل وسقسقة الصافير
وحيشما وجهت عيني رأيت رسم رسام وتصميم مصمم وإبداع
يد مبدعة .

ورأيت الطبيعة بناء محكما متكاملا تستحيل فيها الصدفة
والعشوائية . بل كل شيء يكاد يصرخ . . دبرني مدبر . .
وخلقني مبدع قدير .

وقرأت القرآن فكان له في سمعي رنين وإيقاع ليس في
مألوف اللغثة وكان له في عقلي انبهار . . فهو يأتي بالكلمة
الاشيرة في كل ما يتعرض له من أمور السياسة والاخلاق
والتشريع والكون والحياة والنفوس والمجتمع رغم تقادم العهد
على نزوله أكثر من ألف وثلاثمائة سنة . . وهو يوافق كل
ما يستجد من علوم رغم أنه أتى على يد رجل يدوي أمي لا يقرأ
ولا يكتب في أمة متخلفة بعيدة عن نور الحضارات . . وقرأت
سيرة هذا الرجل وما صنع . . فقلت . . بل هو نبي . .
ولا يمكن أن يكون إلا نبي . . ولا يمكن لهذا الكون البديع
إلا أن يكون صنع الله القدير الذي وصفه القرآن . . ووصف
الإنسالة .

قال صاحبي . . بعد أن إصغى باهتمام الى كل ما قلت . .
وراح يلمس الثغرة الأخيرة :

— لماذا يكون الحال لو أخطأت حساباتك وانتهيت بعد
عمر طويل الى موت وتراب ليس بعده شيء ؟
— لن أكون قد خسرت شيئاً فقد عشت حياتي كأعرض
وأسعد وأحفل ما تكون الحياة . . ولكنكم انتم سوف تخسرون
كثيراً لو أصابت حساباتي وصدقت توقعاتي . . وانها لصادقة
سوف تكون مفاجاتكم هائلة يا صاحبي .

ونظرت في عمق عينيه وأنا أتكلم فرأيت لأول مرة بحيرة من
الرعب تنداح في كل عين ورأيت أجفانه تطرف وتختلج .
كانت لحظة عابرة من الرعب . . ما لبث أن استعاد بعدها

توازنه .. ولكنها كانت لحظة كافية لادرك أنه بكل غروره
وعناده ومكابرتة واقف على جرف من الشك والحواء والفراغ
وممسك بلا شيء .

قال لى بنبرة حاول أن يشحنها باليقين :

— سوف ترى أن التراب هو كل ما ينتظرك و ينتظرنا .

— هل أنت متأكد ؟

وللمزة الثانية انداحت في عينيه تلك البحيرة من الرعب .

قال وهو يضغط على الحروف وكأنما يخشى أن تخونه نبراته

— نعم ...

قلت :

— كذبت .. فهذا أمر لا يمكن أن نتأكد منه أبدا .

وحينما كنت أعود وحدي تلك الليلة بعد حوارنا الطويل
كنت أعلم أنني قد نكأت في نفسيه جرحا .. وحفرت تحت
فلسفته المتهاوية حفرة سوف تتسع على الايام ولن يستطيع
منطقه المتهاافت أن يردمها .

قلت في نفسي وأنا أدعو له .. لعل هذا الرعب ينجيه ..
فمن سد على نفسه كل منافذ الحق بعناده لا يبقى له الا الرعب
منفذا .

وكنت أعلم أنني لا أملك هدايته .. ألم يقل الله لنبيه ..
(انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء)

ولكنني كنت أتمنى له الهداية وأدعو له بها فليس أسوأ من
الكفر ذنبا ولا مصيرا .



الفهرس

- ٧ لم يلد ولم يولد
- ١٢ اذا كان الله لدر علينا فلماذا يحاسبنا
- ٢٠ اساذ خلق الله الشر
- ٢٤ وماذنب الذي لم يصمله قرآن
- ٢٩ الجنة والنار
- ٣٥ هل الدين افيون
- ٤٥ وحكاية الاسلام مع المرأة
- ٥٢ الروح
- ٦١ الضمير
- ٦٥ هل مناسك الحج وثنية
- ٦٨ لماذا لا يكون القرآن من تاليف محمد
- ٨١ القرآن لا يمكن ان يكون مؤلفا
- ٨٩ شكوك
- ٩٦ موقف الدين من التطور
- ١٠٤ كلمة لا اله الا الله
- ١٠٨ كهيمس
- ١١٤ المعجزة
- ١١٨ معنى الدين
- ١٢٢ فزنا بسعادة الدنيا وفزتم بالاوهام

صدر للمؤلف

- ١ — الله والإنسان — مجموعة مقالات كتبت في صيف ١٩٥٥ .
- ٢ — أكل عيش — مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٢ - ١٩٥٤ .
- ٣ — عنبر ٧ — مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .
- ٤ — شلة الأنس — مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٢ - ١٩٦٤ .
- ٥ — رائحة الدم — مجموعة قصص قصيرة كتبت بين ١٩٦٥ - ١٩٦٦ .
- ٦ — ابليس — دراسة كتبت في عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨ .
- ٧ — لغز الموت — دراسة كتبت في عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩ .
- ٨ — لغز الحياة — دراسة كتبت في عام ١٩٦٧ .
- ٩ — الأحلام — دراسة كتبت في عام ١٩٦١ .
- ١٠ — ايشنتين والنسبية — دراسة كتبت في عام ١٩٦١ .
- ١١ — في الحب والحياة — مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ - ١٩٦٦ .
- ١٢ — يوميات نص الليل — مجموعة مقالات كتبت بين ١٩٦١ - ١٩٦٦ .
- ١٣ — المستحيل — رواية كتبت في عام ١٩٦٠ .
- ١٤ — الأفيون — رواية كتبت في عام ١٩٦٤ .
- ١٥ — العنكبوت — رواية كتبت في أوائل عام ١٩٦٥ .
- ١٦ — الخروج من التسابوت — رواية كتبت في أواخر عام ١٩٦٥ .

- ١٧ — رجل تحت الصفر — رواية كتبت في عام ١٩٦٦ .
- ١٨ — الاسكندر الأكبر — مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣
- ١٩ — الزلزال — مسرحية كتبت في صيف ١٩٦٣ .
- ٢٠ — الانسان والظل — مسرحية كتبت في عام ١٩٦٤ .
- ٢١ — غوما — مسرحية كتبت في شتاء ١٩٦٨ .
- ٢٢ — الشيطان يسكن في بيتنا — مسرحية كتبت في
أبريل ١٩٧٣ .
- ٢٣ — القابة — رحلة الى أفريقيا الاستوائية. كتبت في
أكتوبر ١٩٦٣ .
- ٢٤ — مغامرة في الصحراء — رحلة الى الصحراء الكبرى في
صيف ١٩٦٩ .
- ٢٥ — المدينة (او حكايات مسافر) — مجموعة سفريات
الى أوروبا بين ١٩٥٦ — ١٩٦٨ .
- ٢٦ — اعترفوا لي — مختارات من رسائل القراء بين
١٩٥٦ — ١٩٥٩ .
- ٢٧ — ٥٥ مشكلة حب — مختارات من رسائل القراء بين
١٩٦٠ — ١٩٦٦ .
- ٢٨ — اعترافات عشاق — مختارات من رسائل القراء بين
١٩٥٦ — ١٩٦٦ .
- ٢٩ — القرآن محاولة لفهم عصري — دراسة كتبت في
شتاء ١٩٦٩ .
- ٣٠ — رحلتي من الشك الى الايمان — دراسة كتبت في
عام ١٩٧٠ .
- ٣١ — الطريق الى الكعبة — رحلة حج كتبت في عام ١٩٧١
- ٣٢ — الله — دراسة كتبت في أوائل ١٩٧٢ .
- ٣٣ — التوراة — دراسة كتبت في أواخر ١٩٧٢ .
- ٣٤ — الشيطان يحكم — مجموعة مقالات كتبت بين
١٩٦٥ — ١٩٧٠ .
- ٣٥ — رايث الله — دراسة كتبت في صيف ١٩٧٣ .
- ٣٦ — الروح والجسد — مجموعة مقالات كتبت في
شتاء ١٩٧٣ .

- ٣٧ — حوار مع صديقي الملحد — مجموعة مقالات كتبت في
مارس ١٩٧٤ .
مجموعات المؤلفات الكاملة :
- ٣٨ — قصص مصطفى محمود — صدرت عن دار العودة
بيروت عام ١٩٧٢ .
- ٣٩ — روايات مصطفى محمود — صدرت عن دار العودة
بيروت عام ١٩٧٢ .
- ٤٠ — مسرحيات مصطفى محمود — صدرت عن دار العودة
بيروت عام ١٩٧٢ .
- ٤١ — رحلات مصطفى محمود — صدرت عن دار العودة
بيروت عام ١٩٧٢ .

حازت روايته « رجل تحت الصفر على جائزة الدولة عام ١٩٧٠ »

حوار مع صديقي المهد

مصطفى محمود

الثمان ٥٠ قرشاً

طبع بمطابع روز اليوسف

UNIVERSITY OF ALEXANDRIA
Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية



0230318

طبع بطابع

• الثمن

